

سعاد محمد الصباح



دار سعاد الصباح
للنشر والتوزيع

Soundm.s

وما زالت كما هي

الكلمات

سَمَرَت
السنوات

الناشر:

دار سعاد الصباح للنشر والتوزيع

ص.ب: 27280 - الصفاة

الرمز البريدي: 13133

الترقيم الدولي

I.S.B.N:

978-99906-2-089-4

لوحة الغلاف بريشة المؤلفة

مرت السنوات... وما زالت كما هي الكلمات

كتبت هذه المقالات بين عامي 1983 - 1992

سعاد محمد الصباح

الطبعة الأولى

2018



دار سعاد الصباح
للنشر والتوزيع

”نحن عرب، ويجب أن نبقى عرباً، وأن نبذل ما في وسعنا
للاحتفاظ بعروبتنا، ونقاوم كل باغٍ عليها“.*

”الكويت تمد يد التعاون إلى جميع الدول العربية في سبيل
الخير العام المشترك، ولا فرق عندنا بين عراقي ومصري أو
كويتي ولبناني، فكلنا إخوان تربطنا رابطة العروبة“.*

”إن الكويت جزء من الوطن العربي، وما يؤثر في البلاد
العربية الأخرى يؤثر فيها“.*

* من أقوال الشيخ عبدالله مبارك الصباح نائب حاكم الكويت خلال فترة الخمسينيات
وبداية الستينيات

مررت السنوات...

ومازالت كما هي الكلمات

الفلسطيني يبحث عن قاتل أبيه¹

لا أحد يلوم ياسر عرفات على لجوئه إلى مصر، بل لا أحد يلومه إذا لجأ إلى أي مكان في العالم، حيث أثبت بعض التقدميين والمثقفين في العالم أنهم أكثر فهماً وتعاطفاً مع القضية الفلسطينية والفلسطينيين من بعض التقدميين العرب.

ياسر عرفات بلجوهه إلى مصر يلجأ إلى حقيقة جغرافية وديمقراطية وتاريخية لا يستطيع أحد إلغائها، وليس الخراب السياسي والعسكري والقومي الشامل الذي أصاب العالم العربي، إلا نتيجة ميكانيكية لتصغير حجم مصر،

1 حدثت قطيعة بين رئيس حركة فتح ياسر عرفات والسلطة في مصر على إثر توقيع الرئيس المصري أنور السادات معاهدة كامب ديفيد مع إسرائيل، واستمر ذلك حتى عام 1982، حينما طلب ياسر عرفات تدخل الرئيس حسني مبارك من أجل إنهاء حصار "فتح" في بيروت الغربية، وتم الاتفاق على خروج الحركة من لبنان، وعند مرور سفينته من قناة السويس، نزل عرفات إلى الأراضي المصرية واستقبله الرئيس المصري ليكون بذلك قد فتح فصلاً جديداً من العلاقات مع مصر.

وسحب الفقرة الرئيسية من العمود الفقري الذي كان "يشيل" المنطقة العربية بكاملها. بغياب مصر أو بتغييرها انفك اللحام الذي كان "يلصق" أجزاء الأمة العربية، وتحولت المنطقة إلى غبار انفصالي وطائفي وشعوبي!! ولو أن مصربقيت تلعب دورها التاريخي الذي كُتب لها أن تلعبه، لما أفلت زمام السياسة في المنطقة على هذا النحو المجنون، ولما استمرت الحرب في لبنان تسع سنوات، ولما أخذت الحرب العراقية الإيرانية المنحنى الخطير. وإذا كانت معاهدة "كامب ديفيد" هي السبب الذي يجعل زيارة عرفات لمصر عملاً مثيراً للاستغراب والانتقاد، فلقد أثبتت التطبيقات العملية للمعاهدة أن "كامب ديفيد" فاضت روحها.. وأن جميع الجسور السياسية والسياحية والتجارية والقنصلية والبشرية التي حاولت إسرائيل إقامتها مع شعب مصر.. كانت أوهى من خيوط بيت العنكبوت. إن إسرائيل فشلت فشلاً ذريعاً في تطبيع قلب مصر.. وعقل مصر.. ووجدان مصر.. وشهر العسل الذي تصور أنور السادات أنه سيطول..

لماذا يذهب ياسر عرفات إذاً إلى مصر؟
من الذي ينتقده؟ من يلومه؟ من يتهمه بالخيانة؟
لقد خانته بعض العرب بما فيه الكفاية، وضربوا الثورة
الفلسطينية على رأسها حتى سال دمها.. واضطروها إلى
ركوب البحر مرغمة.. خوفاً من الرصاص العربي.. لا من
رصاص "جيش الدفاع الإسرائيلي".
لماذا يذهب ياسر عرفات إلى مصر؟
لأن الدم لا يصير ماء!
ولأن مصر هي الحقيقة الكبرى.
ولأن الثورة الفلسطينية بحاجة إلى خيمة تحميها من
أصدقائها قبل أعدائها.
أما المرحلة القادمة، فسوف تكون مرحلة إعادة فرز
الأوراق.. وفرز الحقائق.
فبعد الخروج الفلسطيني الثالث.. مرة على يد
الإسرائيليين، ومرتين على يد العرب، سقطت أوهام
كثيرة.. وسقطت شعارات كثيرة.. ولم تعد اللافتات الكبيرة
التي رفعتها الأنظمة العربية باسم فلسطين.. وتحت شعار

التحرير.. مقبولة ولا مُصدّقة.

وفي المرحلة الجديدة ستتحطم الأوثان القديمة.. ويظل الدم الفلسطيني مسافراً من عاصمة عربية إلى عاصمة عربية بحثاً عن قتلوا أباه.

وفي هذا الزمن العربي الغارق في التناقضات، فإن الأغلبية العربية المطحونة بين أنياب تنين السياسة الشرس تريد حلاً للمعادلة للغز قبل إسباغ صفة الخائن على عرفات.

هناك من يحاول أن يمزق وجه لبنان الجميل ويحول لبنان النور إلى الظلام، وهناك من يرفع اليوم أعلام الرفض لعودة مصر إلى الساحة العربية.. حتى يزيد الأمة تمزقاً وتبعثراً.

أين كان هؤلاء عندما رفض الجميع مساعدة الفلسطينيين للخروج من بيروت.. ثم كيف يتجرؤون اليوم وقد حوَّصر الثوار بين النار والماء.. وتُرك "ياسر بن زياد" يصرخ: البحر أمامي والإخوة الأعداء خلفي.. فلم يلبّ النداء سوى مصر.. فتحركت قواتها البحرية والبرية خارج المياه الإقليمية لأول مرة منذ اتفاقية "كامب ديفيد" لتقدم الحماية الواجبة

لقوات منظمة التحرير الفلسطينية. وكانت في مواجهة أي عدوان تشنه القوات البحرية والجوية لإسرائيل العدو الرئيسي للمنظمة، أما الدول العربية الأخرى فقد التزمت صمت الطرشان.

وهكذا لم يظهر في سماء الحق إلا مصر.
أهلاً بك يا أمتنا.. فالعقاب كان لنظام ومعهاهدة ولدت ميتة في وجدان الشعب العربي المصري، نحن -أبناءك- بانتظار أن تلعب الدور المؤهل لك لتضحي شتات أجسادنا المتناثرة شرقاً وغرباً، وتعيدي للأمة العربية الأمان والاستقرار والوحدة.

تأملات في الزمن العربي العجيب بين عبدالرحمن الداخل وياسر عرفات الخارج

لو كنتُ مُدرِّسة للتاريخ في إحدى المدارس الثانوية لخرجت من نفسي ومن تلاميذي، ولأضرمت النار في كتاب التاريخ العربي المقرر على الطلبة للعام الدراسي 1983. فلا ضميمري، ولا وجداني القومي، ولا أعصابي تسمح لي بممارسة الغش والخديعة، والاستمرار في تدريس مادة أصبحت في تناقض مخيف مع مجريات الأحداث في الوطن العربي الحالي.

فكيف أقرأ على تلاميذي نصوص الانتصارات، والفتوحات، والرايات الخفاقة، التي زرعها "عرب التاريخ" على قمم جبل طارق وبوابته، وسور الصين العظيم،

1 مقال نشر عام 1983 إثر الملاحقات الإسرائيلية والعربية التي كان يتعرض لها ياسر عرفات رئيس منظمة فتح آنذاك..

والصحف تطالعهم كل يوم بأخبار هزيمة عربية جديدة
على يد "عرب هذه الأيام"؟!

كيف لا يشدون شعرهم غيظاً، ولا يتفجرون غضباً،
وهم يقرؤون فصلاً من مسيرة صقر قريش عبد الرحمن
الداخل، ثم يشاهدون على شاشة التلفزيون ياسر عرفات
آخر مقاتل عربي على قيد الحياة، وهو مكبل بالسلاسل
ومجرور بحبال الخيانة من يديه وقدميه ليرمى على ظهر
إحدى البواخر اليونانية إلى شواطئ المجهول؟!

إن الجيل العربي الجديد يشعر بالدوار حين يقرأ أن سفن
طارق بن زياد عبرت بوابة العنفوان في جبل طارق لتفتح
باسم الله بلاداً اسمها الأندلس، ثم يقرأ أن سفناً يونانية
وفرنسية وإيطالية ترفع علم الأمم المتحدة جاءت إلى ميناء
طرابلس لتتخذ رأس القائد العربي ياسر عرفات من أنياب
أشقائه العرب..

صورة سريلية يعجز عن رسم مثلها سلفادور دالي،
أستاذ الفن السريالي في العالم، صورة لا يعرف أحد رأسها
من قدمها، ووجهها من قفاها.

صورة بالمقلوب في عصر عربي كل قيمه مقلوبة، وكل أخلاقياته مقلوبة، وكل منطقته السياسي مقلوب. وإلا فكيف يمكن أن يتفق موشيه أرينز وزير الدفاع الإسرائيلي، مع بعض القيادات العربية على مطاردة القائد الفلسطيني براً وبحراً وجواً.. حتى آخر الدنيا.. هذا إذا بقي باب مفتوح يمكن "للختيار" أن يلتجئ إليه!!

إن صورة ياسر عرفات وهو يركب البحر من طرابلس إلى منفاه التاسع والتسعين تشبه صورة "دوريان غراي" في رواية أوسكار وايلد المعروفة التي تجمعت فيها في ثمانية واحدة كلُّ جرائم العرب منذ اختراع الخنجر حتى عصر السيارات المفخخة.. والمسدسات الكاتمة للصوت..

وجه ياسر عرفات -بعينه المشتعلتين كالجمر، وقميصه العسكري، وذقنه التي لم يحلقها منذ أن وقع في المصيدة العربية- أثارني.. ففيه قرأت آخر قصة بوليسية ألفها العرب.. وفيه اكتشفنا براعة بعض المؤلفين البوليسيين العرب في تحول ياسر عرفات إلى قاطع طريق.. أو إلى متسوّل على أرصفة طنجة والقيروان.

ياسر عرفات: لا تزعل.. إذا طالت ذقنك في زمن الحصار
فإن
أنظمة عربية كثيرة ستحلق عما قريب.. ذقنها، فالتاريخ
هو الحلاق الأكبر.. لذقون الظالمين!!

جنيف..!

دخل الزعماء اللبنانيون هذا الأسبوع فندق إنتركونتيننتال في جنيف، ليتشاوروا فيما بينهم على طريقة لتخليص لبنان من محنته الطويلة.. الطويلة..

ووافق أن يكون دخولهم إلى جنيف، في اليوم ذاته الذي يدخل فيه تلاميذ لبنان إلى مدارسهم، بعد عطلة صيفية طويلة.. طويلة.. استمرت تسع سنوات قضوها في ضرب بعضهم ببعض، وتحطيم بعضهم لبعض، وإدماء بعضهم وجوه بعض، حتى سقطوا جميعاً على الأرض ملوئين بالدم والوحل، بالإضافة إلى رسوبهم في صفوفهم.

لهؤلاء التلاميذ اللبنانيين الأشقياء، نقول اليوم: إن موسم اللعب والشقاوة، وكسر النوافذ، وإشعال الحرائق

1 كتبت هذه المقالة بمناسبة اجتماع زعماء لبنانيين على طاولة الحوار في فندق إنتركونتيننتال في جنيف بتاريخ 1 نوفمبر / تشرين الثاني 1983 بسبب الحرب الأهلية الدائرة في لبنان منذ سنوات.

في الأشجار، واستعمال الآلات الحادة، وتأليف العصابات..
قد انتهى.

إن فندق إنتركونتيننتال هو آخر مدرسة تقبلهم،
وسويسرا هي آخر بلد يستضيفهم.. فإما أن يعودوا أولاداً
عقلاء، وينتموا إلى دروسهم، ويحترموا أساتذتهم، ويفكروا
بمستقبلهم، وإما أنهم سيطردون من جميع المدارس.

إن سويسرا الجميلة، بجبالها المكلفة بالثلوج، ومرامها
الخضراء، وبيوتها التي تلبس أساورَ من الزهور، وبحيراتها
التي تسكنها الطيور كما يسكنها الشجر، وشوارعها النظيفة،
وأخلاقها اللطيفة، إن سويسرا هذه يجب أن تكون الدرس
الذي سيأخذه اللبنانيون في قاعة الاجتماعات بفندق
إنتركونتيننتال.

يكفي أن ينظر الزعماء اللبنانيون من نوافذ غرفهم في
الفندق الجميل، ليعرفوا أن السلام يقع على بعد عشرة
أمتار منهم.. إنه يناديهم من "بارك بوديه" حيث الأشجار
والعصافير، والممرات الشاعرية الصغيرة تفتح الشهية إلى
السلام وإلى المحبة.

ليت الزعماء اللبنانيين يتجولون قليلاً على ضفاف بحيرة
"الليمان"، وليتهم يرمون فتات الخبز إلى طيور النورس
الأمنة، وليتهم يجلسون على مقاعد العشاق ولو لعشر
دقائق.. ليتهم يصغون إلى سيمفونية السلام التي تعزفها
الأمواج والأشعة، والبط الأبيض على ضفاف بحيرة
جنيف.. حتى يتعلموا كيف يستطيع الإنسان أن يعيش في
سلام مع نفسه، ومع العالم.

إنني سعيدة جداً أن يقع الاختيار على جنيف بالذات
لتكون عاصمة الحوار بين اللبنانيين.. وسعيدة أكثر لأن
فندق إنتركونتيننتال على بعد خمسة أمتار من منزلنا في
جنيف.. "أي أننا ومؤتمر الحوار اللبناني جيران" ..

فهل يقبل اللبنانيون دعوتي إلى فنجان قهوة؟.. فربما
أستطيع أن أمسح الحزن من عيونهم المتعبة، وأعيد
ابتسامتهم، وطفولتهم الضائعة!!

لماذا يُفجّرون وَطَني؟

الانفجارات السبعة التي أرادت أن تمزق سلام الكويت تحت قناع الإسلام، ليس لها علاقة بالإسلام أو المسلمين. فالإسلام دين المحبة والرحمة والتسامح، وليس أبداً دين القتل وزرع المتفجرات وتفخيخ السيارات، وتقويض الأبنية على من فيها.

وإنه لمن المخيف حقاً أن يصبح الإسلام قناعاً يتخفى وراءه الحاقدون والموتورون والمجرمون المحترفون، بحيث كلما حدثت جريمة تفجير جماعية في أي مكان في العالم

1 كتبت هذه المقالة على إثر تفجيرات الكويت 1983، حيث وقعت عدة عمليات إرهابية في منشآت أجنبية وكويتية رئيسية في 12 ديسمبر 1983 وتمت بهجوم منسق لمدة 90 دقيقة على سفارتي أمريكا وفرنسا وعلى المطار الرئيسي للبلاد وعلى مصفاة النفط الرئيسية في الكويت ومحطة تحلية المياه ومصنع الشعيبية للبترول وكيمابوات، وهو ما قيل عنه آنذاك إنه يمكن أن يكون «أسوأ حلقة إرهابية في القرن العشرين في الشرق الأوسط».

”مسحوها“ بالدين الإسلامي.. وادّعى مجهول لوكالات الأنباء أن الجماعة الإسلامية هي التي قامت بهذا العمل ”المجيد“ انتقاماً من ”الكفار“!

وأود أن أسأل الذين زرعو القنابل والموت في وطني إذا ما كانوا يعتبرون الكويت أرض الكفر، وإذا ما كان أهلها الطيبون يُعتبرون كفاراً يستحقون الرجم أو النسف.. كل ما أعرفه أننا في الكويت قوم نخاف الله، ونؤذي شعائر الدين الحنيف، من صلاة وصيام وزكاة وحج.. ونعيش في سلام مع أنفسنا ومع جيراننا وشركائنا في العروبة والإسلام، ولم نكن في يوم من الأيام ظالمين.. أو حاquدين.. أو معتدين.. وما دامت صفات الكفار لا تنطبق علينا.. وملاحم الكفر لا تبدو على وجوهنا.. فلماذا يختصنا إخوتنا ”بهديايم“ من المتفجرات والشاحنات المملوغة وفواكه الـ T.N.T في هذه الأيام المباركة؟!

وإذا كانوا يقصدون ضرب المارينز فإن الشيخ جابر الأحمد هو أمير دولة الكويت، وليس رئيس مشاة البحرية الأمريكية!! وإذا كانوا يقصدون ضرب المصالح الفرنسية، فإن

المصالح الفرنسية موجودة في قصر الإليزية.. والكي دورسيه
 لا في الشعبية.. ولا في الجابرية.. ولا في الرميثية..
 إن برج المراقبة في مطار الكويت ليس هدفاً أمريكياً..
 ومحطة مراقبة التحكم التابعة لوزارة الكهرباء والماء في
 الجابرية.. ومركز الجوازات في حولي.. ليسا هدفين فرنسيين،
 وهذا ما يسقط دعوى الفاعلين بأن هدفهم ضرب
 المصالح الأمريكية والفرنسية، ويجعل الاستقرار الكويتي
 هو المقصود بالاعتقال، فهل أخطأ زارعوا المتفجرات في
 الجغرافيا، فوضعوها تحت أعمدة البيت الكويتي.. بدلاً من
 أن يضعوها تحت أعمدة البيت الأبيض؟!
 في اعتقادي أن ما جرى في الكويت هو حلقة جديدة في
 المؤامرة على آخر ما تبقى من هياكل الديمقراطية والحرية
 في الوطن العربي.

فالكويت تمثل نموذجاً استثنائياً على خريطة التسلط
 والقتل والحكم الفردي في هذه المنطقة، ونظامها
 الديمقراطي وصحافتها وإعلامها ومؤسساتها الثقافية
 والعلمية تجعلها شمعة وحيدة تضيء في هذه العتمة

الكثيفة التي تلف الوطن العربي من محيطه إلى خليجه.
ولأنهم يكرهون الشموع.. ويكرهون الشمس والقمر..
ويكرهون كل مصادر الضوء.. وكل مصادر الفكر.. ولأن
الجاهلية لا تزال مخبوءة في أعماقهم.. فقد صدر مرسوم
بإطفاء الشموع الكويتية..
على الطريقة ذاتها التي أطفئت فيها الشمعة اللبنانية..
فلبنان قتلوه لأنه كان يتكلم أكثر من اللازم.. ويفكر أكثر من
اللازم.. ويشرب من نهر الحرية أكثر من اللازم!!
وهكذا يصبح الليل سيد المنطقة.. وتصبح الخفافيش
سلاطين الظلام بغير منازع، ويصبح الليل الأسود هولون
أيامنا.. ولون إعلامنا.. ولون أنظمتنا السياسية..
فيإلى "المجاهدين" الذين اختاروا الكويت ليعلنوا "الجهاد"
فوق أرضها أقول:
لقد أخطأتم في قراءة الخريطة السياسية، كما أخطأتم
في قراءة الخريطة الحربية والإستراتيجية.. وأخشى أن
تكونوا قد أخطأتم في قراءة الخريطة الدينية أيضاً.
الكويت هي دار الإسلام كما تعلمون.. أو كما لا تعلمون..

والرصاصات السبع التي أطلقتها عليها، كان من الأولى أن تتجه إلى صدور الأعداء الحقيقيين الذين يعبثون بالمقدسات الإسلامية في فلسطين، ويدنسون بأقدامهم تراب المسجد الأقصى، والذين حولوا شقيقاتنا في الأرض المحتلة إلى أرامل وثكالا..

هذا هو الجهاد الحقيقي الذي يوصي به الله، ويرضى عنه رسوله..

أما تفجير برج المراقبة في مطار الكويت، فعمل هابط يتبرأ منه الله ورسوله، ويشمئز منه كل من نطق بالشهادتين من أندونيسيا إلى مكة المكرمة..

كتابات جنوبية (١)

وأخيراً.. جاء الجنوبيون..
وأخيراً.. جاء الصادقون، الصديقون، الطاهرون،
المطهرون..
وأخيراً جاء الرجال الحقيقيون، لا الرجال المصنوعون
من الكارتون، والبلاستيك..
منذ عام 1948 كنا ننتظرهم..
حتى طلوعوا علينا، كحقل من شقائق النعمان، من جنوب
لبنان..
طلوعوا كأشجار الزيتون من أرض الخراب..
جاؤوا يحملون المواسم، ورائحة العشب، وموسيقى
الينابيع..
جاؤوا يحملون إلينا بدايات الماء.. واحتمالات اللون

1 سلسلة من 6 مقالات نُشرت عام 1985.

الأخضر..

جاؤوا وكأن في عيونهم نور النبوة، ورائحة الجنة..

وأخيراً جاء الجنوبيون..

منذ خمسة وثلاثين عاماً، ونحن ننتظر من ينقذ شرفنا،
ويرد اعتبارنا، ويؤكد لنا أن ما جاء في كتب التاريخ عن
شجاعة العرب، ومآثر العرب، وبطولات العرب، لم يكن من
نسج الخيال، ولا فيلماً من أفلام والت ديزني..

منذ خمسة وثلاثين عاماً، ونحن ننتظر المطر فلا يسقط،
وننتظر الربيع فلا يأتي.. وننتظر الفجر فلا يطلع..

كنا دائماً بانتظار "عودو" ليعيد لنا شبابنا، ويرمم
عظامنا، ويعالجنا من هذا الجرب القومي الذي انتشر
في أجسادنا.. وينتشلنا من لعنة عصور الانحطاط، وعار
الهزائم..

كتابات جنوبية (٢)

وأخيراً.. جاء الجنوبيون..
قبلهم.. كانت إسرائيل تجلدنا كل يوم مئة جلدة.. وتتحرك
في العالم العربي براً وبحراً وجواً وكأنها في بيت أهلها.. ولا
تجد من يقول لها "مرحباً"، أو يتصدى لها بخيزرانة.. أو
بسكين مطبخ..!
بعدهم.. انقلبت الصورة تماماً..
صار الإسرائيليون يركضون كالأرانب أمام هؤلاء الذين
يلبسون أكفانهم، ويعانقون الدبابة الإسرائيلية، وينفجرون
بها، كأنهم يعانقون امرأة جميلة..
من قبل قالوا إننا كالأرانب.. واستطاع الإعلام الإسرائيلي
أن يؤثر سيكولوجياً في الفكر العربي، حتى صدق العرب
أنهم من السلالة "الأرنبية".. وأن إسرائيل سوف تلحق بهم
الهزائم إلى يوم القيامة..

في عام 1985، قلب الانتحاريون الجنوبيون الصورة
وجعلوا أرض الجنوب تهتز تحت أقدام الإسرائيليين كما تهتز
الأرض في يوم القيامة..
وأخيراً.. جاء الجنوبيون..
جاؤوا ليغسلوا بالماء والصابون عالماً عربياً لم يأخذ
حمّاماً منذ سنين طويلة.. ولم يغير ثيابه منذ سبعة وثلاثين
عاماً.. ولم يغير أفكاره منذ سبعة وثلاثين عاماً.. ولم يقرأ
كتاباً منذ سبعة وثلاثين عاماً..
جاؤوا ليكنسوا طوابير تنابلة السلطان، وزبائن مقهى
"الفيشاوي" ومقهى الجامعة العربية.. وجميع المقاهي التي
تحترف الثرثرة، والبلطجة، وصيد الذباب..
جاؤوا ليرشوا بمبيدات الحشرات عقولنا المحشوة
بالقش..
جاؤوا ليخرجونا من مرحلة "الكوما" التي دخلنا إليها..
جاؤوا ليتبرعوا لنا بخمسين لثراً من الدم، بعد أن نشفت
آخر قطرة حياء في شراييننا!

كتابات جنوبية (٣)

وأخيراً.. جاء المحاربون..
لينقذوا عمودنا الفقري من التكلس.. وشرابيننا من
التصلب.. وعظامنا من شلل الأطفال..
جاؤوا ليغرسوا في أجسادنا الأبرالصينية.. بعد أن عجزت
العقاقير عن تحريك عصب واحد من أعصابنا القومية
المشلولة..
جاؤوا يحملون إلينا شمساً لم تشرق علينا من زمن بعيد،
وانتصاراً لم نعرفه منذ سنين..
قبلهم.. كانت الكرامة العربية محمولة على نقالة تسافر
بين الخليج والمحيط، ولا تجد مستشفى عربياً يعطيها ولو
غرفة من غرف الدرجة الثالثة.

وأخيراً.. جاء المثقفون..

فثقافة الدم الجنوبي، ألغت جميع كتبنا، ودفاترنا،
وأوراقنا..
ألغت ثقافة اللسان، وكسّست ثقافة الفعل..
ألغت الاستعارات، والمجازات، والتشبيهات، ونماذج
البلاغة القديمة، وأسست بلاغة القوة..
ألغت الثثرة على الورق.. وأعطت الأولوية لحوار
الرصاص..
ألغت الكتابة بأقلام الحبر الناشف.. وقررت أن تكتب
بحبر الشرايين..
ألغت لغة الأندية الأدبية والصالونات.. واعتمدت لغة
القتال بالسلح الأبيض..
أطلقت النار على المدرسة الرومانسية.. وفتحت مكانها
مدرسة البندقية..
وأخيراً.. ألغت شهادة الليسانس، والماجستير، والدكتوراه،
ولم تعترف إلا بشهادة واحدة هي شهادة "الاستشهاد".

كتابات جنوبية (٤)

وأخيراً.. جاء الجنوبيون..
وقبلهم.. كان الفلسطينيون..
وقبلهم.. كان المصريون..
وقبلهم.. كان الجزائريون..
فمتى يفهم هؤلاء الذين يتعاملون مع الشعوب بالحديد
والنار أن رحم الأرض لن يتوقف أبداً عن ولادة البراكين..
والزلازل.. والغاضبين!

من كان يصدّق أن يأمر الرئيس الأمريكي رونالد ريغن
ببناء جدار من الإسمنت المسلح بارتفاع مترين حول البيت
الأبيض، خوفاً من شبح فدائي جنوبي يقطع المحيط
الأطلسي باحثاً عن دم أبيه الضائع ما بين واشنطن.. وتل
أبيب؟

من كان يتصور أن الظالمين لا ينامون إلا على المسكّنات
وأقراص الفاليوم؟..
ليس هناك قوى عظمى.. وقوى صغرى..
إن سيارة قادها مقاتل من جنوب لبنان ضد قاعدة المارينز
في بيروت، جعلت الأسطول الأمريكي السادس أسطوياً من
ورق.. وجعلت المدمرة العملاقة "نيوجيرسي" تتحول إلى
فليئة على سطح الماء..
وإذا كان الأمريكيون والإسرائيليون يسمون غضب
الشعوب التي ذبحوها "إرهاباً".. فإن هذا الإرهاب هو الذي
سيحرر الجنوب..

كتابات جنوبية (٥)

وزير الدفاع الإسرائيلي إسحاق رابين أدلى بتصريح خطير قال فيه: إن الفدائيين في جنوب لبنان هم الأشد خطراً على أمن إسرائيل في المستقبل.

إذن، ماذا ربحت إسرائيل من غزو لبنان؟..

تخلصت من المقاتلين الفلسطينيين ليطلع لها المقاتلون اللبنانيون.. وهي لا تدري من سيطلع لها بعد ذلك؟!

أي أن إسرائيل لن تعرف يوم راحة إلى يوم يبعثون!!
إسرائيل دولة زئبقية، رجراجة، لا عمر لها، وهي بكل تأكيد دولة عابرة أو ترانزيت في المنطقة على حد تعبير الأستاذ مصطفى أمين..

وليس أدل على كون إسرائيل كياناً مؤقتاً وسريع العطب مما قاله د.هنري كيسنجر، المعروف بجذوره اليهودية العريقة، في أحد المؤتمرات الصهيونية أخيراً، حيث أعلن

بكل صراحة أن ليس ثمة حل منظور لقضية الشرق الأوسط، وأن إسرائيل سوف تعيش مئة قرن أخرى من العزلة..

وخلاصة القول، إن إسرائيل مجتمع حربي، قائم بتركيبه الأساسي على الاجتياح والعدوان. والدولة التي تبني كيانها على قنبلة.. لا بد أن تطيح بها قتيلاً!

لم تتعلم إسرائيل من معاهدة "كامب ديفيد" شيئاً.. ولم تتعلم من الهجوم على جناحها في معرض القاهرة الدولي شيئاً..

قد يتزوج الحكام بعضهم بالإكراه.. ولكن الشعوب لا تتزوج أبداً بالإكراه..

هذه هي الحكمة التي عجز جنرالات إسرائيل عن استيعابها..

كتابات جنوبية (٦)

جاءت سناء الجنوبية..
دخلت علينا سناء العربية.. بثوبها الكاكي المنقط..
وشعرها الليلي المتناثر تحت قبعة حربية حمراء.. وابتسامتها
الواثقة.. لتدعو العالم لحضور حفل زفافها إلى الأرض..
ألغت ثوب الزفاف الأبيض.. واستبدلته بثوب حربي منقط..
ألغت الحفلات التقليدية.. وقررت أن يكون حفل زفافها
حفل كل المواسم..
ألغت حفلات النميمة.. واعتمدت حفلات السلاح
والتضحية والفداء..
ألغت الدعوات الورقية.. وأرسلت دعوة شخصية لكل
عربي مكتوبة بدم الشرايين..
وأخيراً ألغت كل الهدايا الدنيوية.. ولم تعترف إلا بالآخرة..

وأخيراً.. جاء الجنوبيون..
ودخلوا علينا ونحن نشرب الشاي بـ"الاستكانات
البلورية" وتلذذ بنكهة استكانتنا..
ضربوا صينية الشاي.. فاندلق الشاي على ثيابنا..
تفاءلنا خيراً باندلاق الشاي، فاندلاق الشاي أو القهوة
على الثياب، يعني أن باباً جديداً للرزق سيفتح أمامنا، وأن
حمامة بيضاء ستحمل لنا أخباراً سعيدة، والله أعلم.
غيرنا ثيابنا.. بثياب جديدة.. ورجعنا لنصل ما انقطع من
حديثنا عن جنون حرب الخليج.. وجنون الأسعار.. وجنون
الدولار..
لكن سناء الجنوبية عادت هذه المرة، لتدلق الشاي على
رؤوسنا..
أعادت لنا توازننا..
فقررنا أن نحضر زفافها..

سنوات ونحن نحارب إسرائيل بالمسيرات، والتظاهرات،
والبيانات، والإذاعات، والتلفزيونات.

لذلك كانت إسرائيل تنتصر.. لأن الدبابات الإسرائيلية لا تجد أمامها سوى أكوام من الجرائد العربية.. والبيانات العربية.. وقصائد الحماس العربية.. تمشي عليها بغير اكتراث.. ولم يحدث في تاريخ الحروب أن خطاباً أو تعليقاً صحافياً.. أو إذاعياً.. استطاع أن يفجر مجنزرة، أو حاملة جنود بكل ما فيها.. فالدبابات لا تحسب حساباً للإذاعات، والمؤتمرات الصحافية.

أما اليوم، فلقد حدث انقلاب خطير في الإعلام العربي، فقد نسف الفدائيون في جنوب لبنان كل قواعد الإعلام العربي القديم، وحولوه من إعلام ورتي إلى إعلام مكتوب بالدم والنار..

من أجل هذا أصبح العالم يقرؤنا.. ويسمعنا.. ويحترم إعلامنا..

أثبتت سناء أنها الإعلامية الأولى.. وأنها الناطقة باسم الشعوب العربية.. فتناقلت وكالات الأنباء خبر زفافها.. وكان الخبر الأول..

إسرائيل على شواطئ قرطاج (١)

هذه المرة.. كان دور تونس.. وقبلها كان دور بيروت، وقبلها كان دور بغداد.. ولا أحد يدري على من ستقع القرعة في المرة المقبلة. فالطائرات الإسرائيلية تعلمت الطريق إلى المدن العربية جيداً، فهي تفتري يوم الخميس في عاصمة عربية وتتغذى يوم الجمعة في عاصمة عربية ثانية.. وتتغذى مساء السبت في عاصمة عربية ثالثة..

العالم العربي كله، من الخليج إلى المحيط، صار فندقاً محجوزاً لإسرائيل طوال أيام السنة.. تنزل فيه حين تشاء، وتغادره حين تشاء.. لا جديد تحت الشمس، فالإرهاب الإسرائيلي أصبح كلاسيكياً، وهجومها علينا صار رياضة صباحية تمارسها بكل برودة أعصاب، ونحن أيضاً لم نتعلم

1 عملية الساق الخشبية 1985 هو الاسم الحركي للغارة الجوية الإسرائيلية ضد مقر قيادة منظمة التحرير الفلسطينية في حمام الشط بتونس، والتي أوقعت عشرات القتلى من التونسيين ومن الفلسطينيين.

شيئاً من دروس التاريخ.. فهزائمنا أصبحت كلاسيكية
أيضاً.. ودموعنا كلاسيكية، ومناحاتنا في الأمم المتحدة
ومجلس الأمن كلاسيكية.. حتى موتنا صار كلاسيكياً..
وطالما أن أصحاب الفندق العربي لا يقولون لإسرائيل لا..
ولا يشكلون نقابة واحدة للدفاع عن بواباتهم.. ولا يقاتلون
حتى بأسنانهم، فإن الطائرات الإسرائيلية ستزورهم مراراً،
سواء كانوا على شواطئ البحر الأبيض المتوسط أو على
شواطئ المحيط الأطلسي، أو على شواطئ المحيط الهندي
أو على شواطئ الأنانية والبغضاء..
إنني أتمنى قبل أن أموت أن أرى طائرة عربية واحدة
تخترق المجال الجوي للأرض المحتلة، وتضرب مستوطنة
إسرائيلية واحدة ولو بالمصادفة أو بالمزاح..
لماذا لا يحدث هذا؟
لماذا لا أشاهد معجزة عسكرية عربية واحدة قبل أن ألقى
وجه ربي؟..
هل تنقصنا الثروة؟ لا.. والحمد لله.. فأرصدتنا الخرافية
مكدسة في البنوك الأجنبية..

هل ينقصنا السلاح؟ لا.. والحمد لله.. فمجموع ما صرف على السلاح خلال السنة الأخيرة يزيد على 59 مليار دولار حسب آخر الإحصاءات..

هل تنقصنا الطائرات والطيّارون؟.. لا.. والحمد لله، فأسطولنا الجوي يملك ثلاثة آلاف طائرة، وهو متفوق على الأسطول الجوي الإسرائيلي وأسطول دول غرب أوروبا مجتمعة!..

لكن الذي ينقصنا هو الإرادة الجماعية للقتال.. فطالما أن كل واحد منا يريد أن يحتفظ بسلاحه الفردي ليدافع عن أمنه الذاتي أو أمنه الحزبي، أو أمنه العائلي والعشائري، فإن الوطن سيتحول إلى مجموعة من الميليشيات..

إسرائيل على شواطئ قرطاج.. (٢)

إن وصول الطائرات الإسرائيلية إلى تونس، وضربها بالقنابل الفوسفورية والفراغية مقر القيادة العامة لمنظمة التحرير الفلسطينية، ليس بمستغرب ولا بجديد، إلا على الذين لا يقرؤون.. أو الذين لا ذاكرة لهم..
فقبل ذلك بأعوام.. وصلت الطائرات الإسرائيلية عام 1976 إلى مطار عنيتيبي في أوغندا لتحرير رهائنها، كما وصلت عام 1981 إلى المفاعل النووي العراقي في ضواحي بغداد، ودمرته.

وهاتان الحادثتان ليستا من تاريخ الفينيقيين، أو الفراعنة، أو الآراميين، أو البابليين، أو من العصر الحجري، ولكنهما من صلب التاريخ المعاصر، إذ لم يمر عليهما أكثر من عقد واحد من الزمن.

ولكن الذاكرة العربية المثقوبة لا تحفظ شيئاً، ولا

تستبقي شيئاً، ولأن الذاكرة العربية منخل واسع الثقوب، فإن الطائرات الإسرائيلية تمر من هذه الثقوب لتضرب أي هدف تختاره على الخريطة العربية..

ولقد لطف الله هذه المرة بمقر الجامعة العربية الموجود في تونس العاصمة أيضاً.. ولكن من حسن حظ جامعة الدول العربية أنها منظمة غير محاربة، وغير مسلحة إلا بالخطابات والمقررات والتوصيات.. والكلام الفارغ.. والكلام الفارغ لا تعتبره إسرائيل سلاحاً موجهاً ضدها.. وإنما تعتبره سلاحاً ضد العرب..

وعلى هذا الأساس، يمكن لموظفي الجامعة العربية في تونس، أن يناموا قريري الأعين في مكاتبهم.. فالطائرات الإسرائيلية ليس لها شغل معهم، ولا تفكر في قطع شريط أحلامهم الوردية..

حتى "ميثاق الدفاع المشترك" المحفوظ في خزائن الجامعة العربية منذ عام 1945، لن تفكر إسرائيل بإحراقه أو نسفه بقنبلة، لأن العرب أنفسهم تولوا هذه المهمة، وأحرقوا هذا الميثاق الذي ينص على: "إن العدوان على أي دولة من دول

الجامعة العربية يعتبر عدواناً عليها جميعاً".
ولا نزال نذكر كيف سقطت بيروت في صيف 1982
تحت مجنزرات الجيش الإسرائيلي، دون أن تهرع دولة
عربية واحدة لنجدها، إلا بالبرقيات، ورسائل التعزية،
والعواطف الكاذبة.

إسرائيل على شواطئ قرطاج (٣)

ها هي طائرات إسرائيل توسع بيكارها حتى وصلت إلى أعماق الشمال الإفريقي.. كيف استطاعت ثلاثون طائرة مقاتلة أن تطير ألوف الأميال لتضرب هدفاً مرسوماً في تونس؟.. طبعاً، إذا وضعت الولايات المتحدة الأمريكية كل خدماتها اللوجستية، وقواعدها، وأسطولها السادس، وراداراتها، وحاملات طائراتها الموجودة في البحر الأبيض المتوسط تحت تصرف قيادة الأركان الإسرائيلية، فإن كل شيء ممكن. ثم إن المسافات عند المحارب الإسرائيلي غير موجودة، فهو مستعد أن يذهب إلى آخر العالم ليزرع راية الصهيونية. وحدود "إسرائيل" غير محددة وغير نهائية، فحيث يقف "الجندي الإسرائيلي" تكون حدود إسرائيل، كما يقول دافيد بن غوريون.

إذن فإن إسرائيل لم تباغتنا، ووصول طائراتها المقاتلة إلى تونس ليس مفاجأة غير منتظرة.

فمن إسرائيل يجب أن نتظر كل شيء، في أي وقت، وعلى أي صورة، والقول إننا لم نكن نتوقع أو لم نكن نعرف.. أو لم نكن نتصور.. هو غباء أو تغابٍ.. بل هو خيانة قومية موصوفة..

إن أفكار إسرائيل ليست سرية، وضرباتها العسكرية على مدى أربعين عاماً ليست سرية، وسوابقها العدوانية علينا صارت عادات حربية متكررة..

ولكن العرب لا ذاكرة لهم، فهم يقعون في الحفرة خمسين مرة.. وفي كل مرة يلطمون خدودهم.. ويشقون جيوبهم، ويضعون المسؤولية على الشيطان..

إن الشيطان ليس مسؤولاً عن هزائمنا أبداً.. ولكن المسؤول هو غفلتنا، واستهتارنا، وتشردنا، وافتقارنا إلى حد أدنى من التنسيق العسكري بيننا..

إن إسرائيل تقاتلنا بجيش واحد، وقيادة واحدة، وسلاح واحد، وإستراتيجية واحدة.. أما نحن فلدينا إحدى وعشرون قيادة، وإستراتيجيتنا الوحيدة هي أن نذبح بعضنا.. ونريق دم بعضنا..

وبعد.. فإن الغارة الجديدة على مقر منظمة التحرير الفلسطينية في تونس، هي أولى ثمرات الاتفاق الإستراتيجي العسكري بين إسرائيل والولايات المتحدة الأمريكية.. وهذا يعني أن الولايات المتحدة الأمريكية أعلنت الحرب بصورة رسمية على العرب، وإن كان الناطق الرسمي بلسان البيت الأبيض، لم يقل ذلك صراحة، وإنما قاله عن طريق التورية، حين اعتبر الغارة الإسرائيلية مبررة ومشروعة، وعملاً من أعمال الدفاع عن النفس.

ورغم ذلك، لا تزال الولايات المتحدة الأمريكية حبيبتنا وصديقتنا.. و"عمتنا"، ولا نزال نجد بيننا من يؤمن أن 99% من أوراق اللعبة السياسية في الشرق الأوسط هي في يد الولايات المتحدة الأمريكية..

لقد دفع الرئيس أنور السادات حياته ثمناً لهذا الرهان الخاطئ على الولايات المتحدة الأمريكية، ولا أدري إذا كان أي زعيم عربي آخر يستطيع بعد قصف تونس، أن يدخل في مثل هذا الرهان القاتل!!

إسرائيل على شواطئ قرطاج.. (٤)

إن تصريحات الرئيس ريغن حول الغارة الإسرائيلية على تونس لا تليق به كرئيس لأكبر دولة في العالم، فقد كان قاسياً، فظاً، غليظ القلب، ولم يستطع أن يخفي إعجابه وثقته المطلقة بجهاز المخابرات الإسرائيلية (الموساد) على إنجازهِ العظيم في مطاردة "الإرهاب الفلسطيني" حيثما كان، أما "الإرهاب الإسرائيلي" فإن الرئيس ريغن لا يراه لأنه مصاب بعى الألوان، أو بالعى الإسرائيلي.

إذن فالتورط الأمريكي في هذه العملية، لم يعد محل تخمين أو تأويل.. ما دام الرئيس الأمريكي قد رفع القبعة أمام البطولة الإسرائيلية الفذة.. في مؤتمر صحافي علني..

والسؤال المطروح الآن هو: ماذا سنفعل نحن؟

كيف سنتصرف؟ كيف سنجابه الحرب الإسرائيلية – الأمريكية التي شنتها واشنطن وتل أبيب علينا بالتضامن

والتكافل؟

ماذا ستفعل مصر؟

ماذا سيفعل الملك حسين؟

ماذا سيفعل رئيس المنظمة ياسر عرفات؟

ما مصير الوفد الأردني - الفلسطيني المشترك الذي ينتظر

الإذن للدخول في حوار مع الولايات المتحدة؟

هل ما يزال مثل هذا الحوار ممكناً، أم أن الفكرة لم تعد

ذات موضوع؟

كيف يواجه العرب -ككل- الإستراتيجية العسكرية

الجديدة للحلف الأمريكي - الإسرائيلي؟

هل سيقون، كما كانوا دائماً، بغير رؤية، وبغير

إستراتيجية، وبغير تنسيق.. وبغير حاضر.. وبغير غد..؟

هل ستبقى حروبهم تدور في شوارع طرابلس وبيروت،

وجبال الشوف، وعلى الخط الأخضر الفاصل بين بيروت

الشرقية وبيروت الغربية؟

هل ستبقى الصواريخ والمدافع العربية تدك المدن

العربية، وتعتبر أن الانتصار الكبير هو في سقوط مدينة

طرابلس.. أو انتصار ميليشيا على ميليشيا؟
ومصر، مصر الكبرى، مصر العربية، مصر الطاقات
البشرية والعسكرية والحضارية، هل ستبقى موضوعة في
"ثلاجة التاريخ" وممنوعة من لعب دورها القومي الكبير؟
لقد أعلنت مصر بعد الغارة الإسرائيلية على تونس أنها
لن تستقبل الوفد الإسرائيلي القادم إلى القاهرة للتفاوض
بشأن طابا..

ولكن هذا الموقف، على ما يحمل من معانٍ، أيعتبر كافياً؟
أم أن التخلص من قيود كامب ديفيد ومن معاهدة الصلح
مع إسرائيل، أصبح مطلباً قومياً ملحاً، لإنقاذ المنطقة
كلها من هذا الزلزال المخيف الذي ضربها من الخليج إلى
المحيط؟

إنني أعرف أن مصر مرهقة اقتصادياً، وبشرياً ومالياً،
وغذائياً، وأعرف أنها ستعود إلى المعاناة، ولكنني أعتقد أن
مصر مهما عانت فهي مسؤولة مسؤولية أدبية وتاريخية
عن هذا الوطن العربي الذي يتدحرج، منذ أن استطاعت
إسرائيل تحييدها، إلى الهاوية.

وإذا راجعت مصر موقفها، وأسقطت اتفاقية كامب ديفيد، فعلى الدول العربية القادرة مالياً أن تحتضن اقتصاد مصر، وتبنى قضايا تسليحها، عن طريق إيجاد "صندوق" يتولى تصحيح الوضع الاقتصادي والاجتماعي في مصر..

ويجب ألا ننسى أن تقصير الدول العربية في ميد العون في الماضي، هو الذي دفع الرئيس السادات إلى حافة اليأس، ورماه في أحضان الشيطان الإسرائيلي- الأمريكي.

رصاصات في رأس كامب ديفيد¹

الرصاصات التي انطلقت من رشاش جندي مصري على ساحل البحر الأحمر، وقتلت سبعة إسرائيليين، لم تخترق أجسادهم فقط، وإنما اخترقت جسد اتفاقيات كامب ديفيد، وأردتها قتيلة.

وحين تشييع إسرائيل قتلاها السبعة، فإنها ستدرك بينها وبين نفسها أنها بحاجة إلى تابوت ثامن تضع فيه الجثة الثامنة التي لم تتحدث عنها التقارير الصحافية، ألا وهي جثة معاهدة الصلح المصرية - الإسرائيلية.

هذا الجندي المصري الذي نفذ عملية القتل، هل جاء

1 في 5 أكتوبر عام 1985م وأثناء قيام مجند مصري يدعى سليمان خاطر بنوبة حراسته المعتادة بمنطقة رأس برقة أوراس برجة بجنوب سيناء فوجئ بمجموعة من السائحين الإسرائيليين يحاولون تسلق الهضبة التي تقع عليها نقطة حراسته فأطلق رصاصات تحذيرية ثم أطلق النار عليهم حيث إنهم لم يستجيبوا للطلقات التحذيرية، وقد تمت محاكمته عسكرياً.

ليكمل الدور؟

هل جاء ليطلق الرصاصات في رأس كامب ديفيد؟..
ثم هل تفهم إسرائيل أن معاهدة الصلح في مصري هي
نقوش مكتوبة على الماء.. وأن أمواج النيل قادرة على أن
تمحو أي توقيع في أي لحظة؟

لا أحد يستطيع أن يوقع بالنيابة عن مصر إلا الشعب
المصري، ولأن الشعب المصري كان غائباً لدى توقيع
اتفاقيات كامب ديفيد، فإن كل بنودها كانت باطلة ومزورة،
ورغم ما يقال عن أن إسرائيل قد درست جيداً سيكولوجية
العرب، وفكرهم، وطبائعهم، فإنها على ما يبدو، لم تستطع
أن تكشف المياه الجوفية التي تختبئ في أعماق الروح
المصرية، ولا الزلازل المخزونة تحت جلد مصر..

صحيح أن مصر مشهورة بصبرها، ومشهورة بتحملها،
ومشهورة بطيبتها، ومشهورة بابتسامتها ومزحها ونكتتها..
ولكن هناك مصر أخرى لا يعرفها علماء النفس
الإسرائيليون، إنها مصر سليمان الحلبي، الذي أغمد
خنجره في ظهر كليبر قائد الحملة الفرنسية.. ومصر حسن

توفيق الذي أطلق النار على النفوذ البريطاني ممثلاً بأمين عثمان باشا.. مصر التي انتقمت لكرامة أربعين مليون مصري يرفضون أن يصبحوا يهوداً، بعد أن علمهم جمال عبدالناصر أن يكونوا عرباً..

وبعد، فإن المياه الجوفية تحت أرض مصر بدأت تتحرك.. ومن مؤشرات قتل الدبلوماسي الإسرائيلي وسكرتيرته على طريق المعادي، وعدم السماح لإسرائيل بالاشتراك في معرض الكتاب الدولي في القاهرة لهذا العام، والتحرك الطلابي الغاضب من جامعة القاهرة إلى مبنى السفارة الإسرائيلية، ومطالبة المتظاهرين ورؤساء الأحزاب المعارضة بقطع العلاقات الدبلوماسية مع إسرائيل وإغلاق سفارتها في القاهرة.. وربما كان أقوى المؤشرات وأكثرها دلالة إقدام جندي مصري على قتل سبعة إسرائيليين، في لحظة من لحظات التجلي والصفاء القومي ويقظة الضمير..

ما اسم هذا الجندي؟..

ما رتبته؟ كم عمره؟ ما خلفيته الثقافية والاجتماعية؟

هل هو من الوجه القبلي.. أم من الوجه البحري؟

هل ينتمي إلى سلاح المشاة.. أم سلاح المدفعية؟
هل قرأ أخبار الغارة الإسرائيلية على مقر منظمة التحرير
ال فلسطينية في تونس؟
وهل تابع تفاصيل المؤتمر الصحفي الذي عقده الرئيس
رونالد ريغن بعد الغارة على تونس، ورقص فيه، وغنى،
وزغرد، أمام جثث الضحايا الفلسطينيين والتونسيين؟
من هذا الجندي المصري الشجاع؟
من أبوه.. من أمه؟!
هذه كلها أسئلة هامشية..
فالرجل مصري، من أب مصري، وأم مصرية.. والرجل
ريفي، علّمه ريف مصر الصدق والشجاعة والفروسية
والدفاع عن كل ذرة من تراب مصر..
الرجل مؤمن يؤدي الصلوات في أوقاتها، ويغضب حين
يرى أعداء الله يتجولون بقلنسواتهم في شوارع القاهرة،
ويشربون الشاي في حي سيدنا الحسين، ويتسكعون تحت
مآذن الأزهر الشريف..
الرجل عربي.. تاريخاً وانتماءً ومصيراً.. والرجل من أولاد

عبد الناصر وتلاميذه، لذلك صعب عليه أن يرى نجمة إسرائيل السادسة تضيء سماء القاهرة إلى جانب هلال رمضان.. وصعب عليه أن يرى خنجر إسرائيل يدخل كل يوم في جسد عاصمة عربية.. ومصر مكبلة اليدين بقيود كامب ديفيد.. لا تستطيع أن تصرخ ولا تستطيع أن تبكي.. ولا تستطيع أن ترد الطعنات عن جسد شقيقاتها المضرجات بدمائهن..

هذا هو الجندي المصري الذي لا نعرف حتى الآن تفاصيل هويته، هو البشارة الأولى.. والشرارة الأولى، والصرخة الأولى التي ترافق الميلاد العظيم..

قد يحاكم هذا الجندي الشجاع أمام محكمة عسكرية.. وقد يحكم عليه بالسجن المؤبد أو الإعدام.. ولكن محكمة التاريخ سوف تنعقد في جلسة طارئة لتصدر الحكم التالي: "بسم الله، سيد العادلين، وملاذ الصابرين، ونصير المسحوقين والمستضعفين، نعلن نحن رئيس وأعضاء محكمة التاريخ، براءة المتهم من جريمة القتل المنسوبة إليه، ونقترح على رئاسة الجمهورية في مصر، منحه وسام

قلادة النيل من الدرجة الأولى، تقديراً لخدماته الجليلة في
الدفاع عن شرف مصر“.

عباس بن فرناس الفلسطيني¹

الشاب الفلسطيني الذي هبط بطائرته الشراعية في قلب معسكر إسرائيلي في كريات شمونة في شمال فلسطين المحتلة، يستحق أن ننحني الأمة العربية كلها أمام عمله البطولي الخارق..

وإذا كان عباس بن فرناس، أول رائد عربي في تاريخ الطيران، قد صنع لنفسه جناحين من ريش العصفير، وطار بهما لمدة عشر دقائق، ثم تحطم جناحاه، وتحطم معهما، بسبب قلة التجربة، فإن طموحه لغزو الفضاء لم يذهب عبثاً، لأن الإنسان لم يفقد أمله في ارتياد الأعالي.. وظل يتابع أمثلة عباس بن فرناس.. حتى وصل إلى اختراع طائرات البوينج.. والكونكورد.. والصواريخ العابرة للقارات..

1 كتبت المقالة بعد هجوم نفذه الفدائي الفلسطيني خالد أكر بطائرة شراعية في 26 ديسمبر / كانون الأول 1986 أسفر عن مقتل وجرح 35 جندياً يهودياً.

ومنذ أيام ظهر في السماوات العربية، عباس بن فرناس فلسطيني.. ركب طائرة شراعية صغيرة بمحرك، واستطاع أن يضلل كل الرادارات الإسرائيلية، وكل التحصينات الإلكترونية التي سوّرت إسرائيل بها حدودها.. ونزل في قلب معسكر إسرائيلي في كريات شمونة.. فقتل ستة جنود.. وجرح سبعة.. إلى أن سقط مضرجاً بدمه تحت طائرتة الصغيرة..

هذه الحادثة ليست حادثة عابرة أو هامشية في تاريخ الحروب العربية الإسرائيلية. ولكنها في تقديري أهم حادث طيران جرى في العالم، بعد حادثة الطائرة التي قادها شاب ألماني منذ أشهر ونزل بها في ساحة الميدان الأحمر في موسكو.. تحت سمع وبصر الرادارات السوفيتية التي تلتقط ديبب النملة..

إنجاز عباس بن فرناس الفلسطيني، أهم بكثير من إنجاز عباس بن فرناس الألماني.. لأن "عباسنا" العربي الفلسطيني كان يحمل تصوراً ورؤية نضالية، في حين كان عباس بن فرناس الألماني، يتميز بالطيش، والمراهقة، والمغامرة

الصبيانية.

عباس بن فرناس الفلسطيني كان يحمل معه قضية شعب أُجلي عن وطنه، وشُرِد في أنحاء الكرة الأرضية.. وعباس الألماني كان يحمل معه زجاجة بيرة.. ورواية من روايات جيمس بوند..

وأجمل ما في رحلة عباس بن فرناس الفلسطيني.. أنها جاءت في هذا الزمن العربي الذي وصل إلى نقطة اليأس والإحباط، ولم يعد يرى من حوله إلا العتمة المطبقة والظلام الشامل..

كذلك، فإن رحلة عباس بن فرناس الفلسطيني، تأتي في وقت كثرت فيه دعوات الأخذ بالفكر الواقعي والبراغماتي تمهيداً للجلوس إلى طاولة المفاوضات وفق الشروط المعروفة..

لذلك يأتي عباس بن فرناس في الوقت المناسب ليحطم أوركسترا التخاذل، ويوقف موسيقى النشاز..

إن العمل الفذ الذي قام به هذا الشاب الفلسطيني الشجاع حرك دم القومية في شراييننا، وأعاد دورتنا

الدموية إلى حالتها الطبيعية، وأخرجنا من حالة الكوما التي دخلنا فيها منذ السبعينيات..

وإذا كان لهذا العمل من مغزى سياسي، فإنه يعني بكل تأكيد أن الكيان الإسرائيلي، سوف يبقى دائماً كياناً هشاً، وقابلاً للسقوط في أي لحظة، وأن جميع الخطوط المكهربة والأسلاك الشائكة التي لَقَّتْها إسرائيل حول جسدها هي خطوط وهمية.. يمكن اختراقها في أي لحظة من الخارج.. أو من الداخل..

وبكلمة واحدة، فإن إسرائيل، رغم التفوق التقني والعسكري الذي تدّعيه، ورغم كفاءة الولايات المتحدة التاريخية لها، فإنها لن تستطيع أبداً أن تراهن على مستقبلها كدولة بوليسية في المنطقة.

إن سياسة العصا الفولاذية قد تنفع مع الأغنام، والأبقار، والجواميس.. ولكنها لن تنفع أبداً في إلغاء ذاكرة الشعوب.. وربما كان من سوء حظ إسرائيل أن الشعب الفلسطيني الذي تحاول استئصاله هو شعب عنيد، ومتشبث بأرضه، وقوي الذاكرة.. ويتناسل كما تناسل سنابل القمح..

إن الشعب اليهودي يعرف أكثر من غيره، بحكم تجربته الطويلة مع العذاب والتشرد والشتات، أنه لن يستطيع أن يستعمل الطريقة النازية التي حاولت اقتلعه لاقتلاع الآخرين.. ولن يستطيع أن يلبس قناع هتلر وقناع التوراة في الوقت ذاته.. ولن يستطيع أن يضع إشارة الصليب المعقوف على ذراعه اليسرى.. ويتسول الدولارات الأمريكية باليد اليمنى..

ثم إن الشعب اليهودي يعرف أن الهولوكوست، أي معتقلات التعذيب وأفران الغاز التي أدخل إليها اليهود الأوروبيون في الأربعينيات، هي سلاح ذو حدين، وبالتالي فإن إدخال الشعب الفلسطيني الهولوكوست الإسرائيلي سيكون عديم الجدوى، لأنه سيؤدي بالشعب الفلسطيني إلى تدمير كل أعمدة المعبد اليهودي انطلاقاً من قاعدة "عليّ وعلى أعدائي يا رب"..

لو كان اليهود أذكاء و"شاطرين" في الحساب، كما يقال عنهم، لما أقاموا سياستهم الخارجية والإستراتيجية على مبدأ الإبادة الجماعية، والتفرقة العنصرية، ولما تبنوا

السياسية العنصرية ذاتها التي تطبقها دولة جنوب أفريقيا ضد المواطنين السود..

لو كان اليهود يعتبرون أنفسهم جزءاً من شعوب منطقة البحر الأبيض المتوسط ومن تاريخها، ومن حضارتها.. لحاولوا أن يعيشوا بسلام بين شعوب المنطقة، وأن يحترموا حقوق الإنسان، وحقوق الأديان الأخرى..

ولكن منطلق الفيتو فرض على اليهود العزلة، والانطواء والانغلاق على أنفسهم، ودفعهم إلى أن يقيموا مجتمعاً مسلحاً وعسكرياً، يخاف من السلام، ويضع إصبعه على زناد البندقية.. ليلاً ونهاراً..

ولم يعرف التاريخ دولة تعيش في حالة تعبئة عسكرية وحالة استنفار دائم.. سوى إسرائيل..

وبعد.. فإن طائفة شرعية يقودها فدائي فلسطيني، استطاعت أن تخلط الأوراق العربية، والإسرائيلية، والإقليمية، والدولية..

إنها درس بليغ لإسرائيل.. كما هي درس لنا نحن العرب.. فمقتل ستة جنود إسرائيليين هو بالنسبة لإسرائيل

تراجيديا قومية، وخضة سياسية تهز المجتمع الإسرائيلي، الذي ما زال جنرالاته يزرعون في دماغه أن إسرائيل لا تقهر.. وأن إسرائيل فوق الجميع، ذلك الشعار الذي سرقوه من النازيين.. وسواء انتقمتم إسرائيل لقتلها أم لم تنتقم -ومن المؤكد أنها ستنتقم- فإن انتقامها لن يغير من واقع الأمر شيئاً، وهو أن الدولة التي لا تقهر.. قد قُهرت.. هذا هو الدرس الذي يجب أن يستفيد منه الإسرائيليون، أما الدرس الذي يجب أن يستفيد منه العرب -وأنا أشك في أن العرب يقرؤون دروسهم ويذكرون كتب التاريخ- فهو أن إسرائيل تريد رؤوسهم واحداً بعد الآخر.. وأن المفاوضات المباشرة التي تدعو إليها ليست سوى وليمة بين غالب ومغلوب.. تأكل فيها إسرائيل الصحون الرئيسية.. ولا تترك للأخرين سوى الفتات..

لقد صار معروفاً لدى العالم كله، أن إسرائيل بحزبها الرئيسيين العمل والليكود لن تعيد الأرض التي احتلتها عام 1967، ولن تعترف بحقوق الشعب الفلسطيني، ولا بالدولة الفلسطينية، وأنها تنتظر اللحظة الدولية المناسبة

لتضع كل فلسطيني الداخل خارج حدودها وتستريح.. هذه هي أفكار إسرائيل، وهي ليست أفكاراً جديدة، ولا مجهولة ولا سرّية..

فشكراً لعباس بن فرناس الفلسطيني الذي هبط من دون تأشيرة دخول على أرضه.. مؤكداً للإسرائيليين أن أكثر من عباس بن فرناس سيميط في أي لحظة على سطح داره.. في فلسطين.. وأن الأسطول الجوي الفلسطيني لن يتوقف عن طلعاته بعد اليوم.. فاحجزوا أماكنكم منذ الآن على طائرات الخطوط الجوية الفلسطينية.

الحجر هو الملك¹

الحجر هو الملك.. بعد أن أسقط كل الألقاب،
والفلسطينيون هم أول شعب استعمل الحجر لإشعال
ثورة، فمنذ أن انطلقت الشرارة من سماء الأرض
الفلسطينية، أمطرت السماء، واخضوضرت الحقول،
وأزهرت الأشجار، وامتلأت البيادر.
بعد أربعين سنة من العذاب والأرض تتشقق عطشاً،
والسنابل تنحني وجعاً، والبحر يستقيل احتجاجاً،
والعصافير تموت حزناً، والإنسان العربي شاخ في كل دقيقة
مئة عام.
لم يحدث في التاريخ أن استعمل الحجر لإشعال ثورة،
ولم يحدث في التاريخ أن سقطت كل الألقاب وأصبح للثوار
أميراً واحداً يدعى الحجر.

1 كتبت المقالة عام 1987 حين فاجأ الطفل الفلسطيني العالم بانتفاضة الحجر..

يا أيها السيوف العربية، يا من كسرتم جدار اللغة
وانتصرتم على الحروف الأبجدية..
اللغة بحروفها لم تعد تكفي لتغطي أخبار بطولاتكم..
واللغة غير قادرة على استيعاب معجزاتكم..
فانتفاضتكم ملحمة من ملاحم المجد والفخار والبطولة.
وفي ذكرى يوم الأرض نقف احتراماً وإجلالاً لمن انعجن
بالأرض وأعطى عطاءً باهراً..
إن طاقتكم يا سيوف الرحمن أكبر من طاقة القصيدة،
وطاقة الحجر أقوى من طاقة الكلمة.
إنني أعتزف بأن الكلمات تلهث، والاستعارات تلهث..
والتشابه تلهث..
فالانتفاضة هي أجمل قصائدنا وأعظم إبداع في تاريخنا
الحديث..
فيا أيها المتشبهون بالتراب كما يتشبث الجنين برحم أمه..
يا أيها الذين يتشكلون في وجداننا كما يتشكل اللؤلؤ في
المحارة..
يا أيها الذين يشتعلون كالبرق في شوارع غزة ونابلس

والقدس ورام الله، وبيرزيت..
يا أيها الصامدون في وجه الجراد اليهودي الذي يريد أن
يأكل أشجار التاريخ العربي..
يا من يغتسلون بماء الشهادة..
ويخبثون للشعب العربي في أجفانهم خرائط المستقبل
وحنطة البيادر وزغاريد النساء ورايات الحرية.
يا أيتها المرأة الفلسطينية إن زمن البنفسج قادم..
يا صانعة السلالات، ويا صانعة الثوار، ويا حافظة الدم
الفلسطيني.. والوجود الفلسطيني.. والتاريخ الفلسطيني.. من
الاندثار..
ربي معك.. وقلبي معك..

طائرة الوحدة الوطنية

إنني أقترح أن تُسمّى الطائرة الكويتية المخطوفة "طائرة الوحدة الوطنية"، فحادث الاختطاف -على مأساويته- لم يكن خالياً من الإيجابيات، فقد خرجت منه الكويت وهي أكثر التحاماً وتماسكاً وثباتاً من أي وقت مضى، وصهر الحادث الوجدان الشعبي ووجدان السلطة في بوتقة واحدة، وجعلها كتلة من الفولاذ غير قابلة للكسر.

وإذا كان الله يمتحن الشعوب في وقت الشدة، والمواقف الصعبة، فإن الكويت اجتازت الامتحان بنجاح، وأثبتت للعالم أنها دولة لا تساوم في مبادئها، ولا تتزحزح عن مواقفها المبدئية، ولا تتخلى عن عنفوانها القومي.

الإيجابية الثانية لحادث الاختطاف، هي أنه كشف جميع

1 كتبت بعد تحرير طائرة الجابرية التي خطفها حزب الله اللبناني في 5 أبريل 1988، حيث كانت طائرة الخطوط الجوية الكويتية - رحلة رقم 422 تحلق في الأجواء العمانية متجهة إلى الكويت قادمة من بانكوك.

الأوراق المستورة.. وفضح جميع المحرضين، والمتآمرين،
والممولين، وسماسرة العقيدة والسلاح، وقدمهم إلى
محكمة الرأي العام العالمي.

والإيجابية الثالثة أن دم الشهيدين الغاليين عبد الله
الخالدي وخالد أيوب لم يذهب هدرًا.. ولكنه شارك في
كتابة ميثاق الوحدة الوطنية الكويتية، وقوى أساسات
البيت الكويتي.

إن كل أمة تدفع غالياً ثمن عزتها وسيادتها والدفاع
عن مبادئها، ولقد دفعت الكويت، ولا تزال تدفع، ضريبة
التراب.. وضريبة الشرف والعنفوان..

وليس الشهيدان اللذان شيعناهما أمس سوى نجمين
يضيئان لنا طريق النضال الطويل.. ووردتين نزرعهما في
حديقة الوحدة الوطنية..

الدخول في زمن التحدي¹

العالم العربي يدخل في مرحلة التحدي والتصدي..
لذلك فهو يعلم جيداً نفسية صانع القرار الأمريكي..
والعالم العربي متعصب لعروبته..
لذلك فهو يعلم جيداً أن الضغوط التي تفرضها أمريكا
على ليبيا هي ضغوط مفروضة عليه..
إن السياسة الليبية ليست سياسة مشاعة أو مجانية
لتناقشها أمريكا على طريقتها الخاصة، ولكنها حالة خاصة
يجب احترامها قبل الدخول في صراع معها.
صحيح أنني لا ألتقي مع الإدارة الليبية في بعض أفكارها،
وبخاصة فيما يتعلق بقوانين المرأة التي تحدد أن مكانها
البيت لأن تركيبها الفسيولوجي لا يسمح لها.

1 كتبت المقالة بمناسبة فرض عقوبات على ليبيا وتجميد أرصدها البنكية من قبل الولايات المتحدة في نهاية الثمانينيات على إثر ما يسمى بحادثة "لوكري".

ولكنني كعربية مع ليبيا كدولة عربية تاريخاً وانتماءً
ومصيراً.

العالم العربي واقف على سجادة من نار.. والسجادة من
تحتة تحترق.. وهو لا يرى الحريق ولا يشم الدخان..
حتى البحري الخليج يحترق، ولا يزال العربي مقتنعاً بأن
الماء لا يحترق..

حتى الإنسان يحترق على نار الحكم ونار الظلم، ونار
الاستغلال، ولا أحد يشم رائحة اللحم البشري المحترق..
حتى الأرصدة والسندات والأوراق المالية تحترق،
والاقتصاد يحترق، ولا يزال الاقتصاديون في بلادنا يؤكدون
أن الاقتصاد العربي يتمتع بالصحة والعافية، وأن النفط
سائل مصفح ضد الحريق، وأنه مستمر التدفق إلى ما شاء
الله.

ليس لدينا وقت لتسجيل انفعالاتنا وتشكيل كلماتنا،
فلقد رفعت الستارة، وظهر على المسرح الممثلون، وظهرت
بصورة واضحة النوايا الأمريكية من خلال حوار المسرحية،
حين جمدت أمريكا الأرصدة الليبية، ولم تبال بالضمانات

البنكية وغير البنكية والضمانات الحكومية لحماية الاستثمارات العربية في الولايات المتحدة، رغم تأكيد أمريكا أكثر من مرة أن هذه الاستثمارات لا تتأثر بالاعتبارات السياسية، إنما تتعرض كأبي استثمار للأخطار التجارية.. وهكذا جمّدت أمريكا ممتلكات دولة عربية، دون أي مبرر قانوني، بل استناداً إلى شبهات واتهامات. وصدق المخلصون حين حذروا من أخطار الاستثمار الأجنبي..

لا أتذكر أن لأمريكا حقاً في أي دولة عربية..
ولا أتذكر أنها من أقربائنا..
ولا أتذكر أنها تملك مسمار جحا في أراضينا..
ولكن الغريب أن أمريكا تتصرف وكأننا أرض مشاع من أملاك أبيها..
هذا منطق نرفضه..

ومن قرأ التاريخ يعرف أن أمريكا لم يكن لها إرث حضاري، ولا أضاءت طريق الخير والمعرفة، ولا تفوقت حضارياً بالمعنى الأخلاقي والفلسفي، فإذا كانت تعتبر ناطحات

السحاب والجسور المعلقة والآلات الإلكترونية حضارة،
فإن حضارتها كتابات على نار التاريخ.
وإذا كانت أمريكا لا تزال تقسم العالم إلى مجتمع الأسياد
ومجتمع العبيد، فإن أمريكا لم تستفد من التجربة
البريطانية، ولم تقرأ التاريخ جيداً..
وإذا كانت أمريكا لا تزال تعتبر العالم الثالث عبيداً
توظفهم حسبما تشاء.. فهي خاطئة ولا تزال تعيش زمن
(مسلسل الجذور)..

عبثاً يحاول العالم الثالث إقناع الرئيس ريغن بأن قوانين
العمل قد تغيرت.. وأن أفكار العمال تغيرت.. وأن هناك
نقابات تدافع عنهم، وأن العالم الثالث أصبح مالكا لثروته،
وهو يحدد سعرها وكمية إنتاجها تبعاً لاحتياجات التنمية،
وتبعاً للطلب العالمي، ولكن "ريغن" في واد والعالم الثالث
في واد.

إن جمال عبد الناصر أعطى الاستعمار الجديد والقديم
درساً لن ينساه، حين حاول الاستعمار فرض الحصار
الاقتصادي على مصر لتجويعها والضغط عليها، وحين

جمد الأرصدة المصرية في بريطانيا، وحين اعتدى عسكرياً على مصر عام 1956.

أتذكر جيداً صمود القائد العظيم، وتضامن الشعب العربي..

وأتذكر جيداً كيف أن العرب في لحظة من لحظات توهجهم القومي واكتشافهم لذواتهم، غيروا منطق الاستعمار، وأحدثوا زلزالاً في جسد العالم، وقلبوا معادلاته.

إن العالم العربي اليوم يواجه تحدياً من نوع جديد.. فليس هناك ما يمنع أمريكا من استخدام الأموال العربية رهينة للضغط على العرب لتحقيق أهدافها العدوانية. وإن المخاطر التي تهدد الأموال العربية المستثمرة في أمريكا، وفي السوق الأوروبية، هي مخاطر حقيقية لا يمكن تجاهلها، فكلما زاد الاستثمار في الخارج، زادت درجة المخاطرة، وهذه نظرية اقتصادية معترف بها.

إننا خلال الأعوام الماضية كبرنا مئة عام، ولمسنا مساحة الدمعة، وعرفنا مساحة الجرح، ومساحة الألم ومساحة الكلمات، لذا فإن اللغة القديمة التي يتكلمها الرئيس ريغن

لم تعد صالحة للاستعمال اليومي، والعرب لا يتداولون عملة قديمة لا غطاء لها.
لم يعد في وسع أي مستعمر جديد أن يستغل طيبتنا، ويستثمر براءتنا.
صحيح أن المواطن العربي تتجلى فيه أخلاق النخلة بارتفاعها وكرمها وفيض عروبتها..
وصحيح أن العرب أهل تسامح ومحبة وحلم على امتداد التاريخ..
ولكن احذر الحلیم إذا غضب..
إن المخزون النفطي لا يمكن أن يبقى متدفقاً إلى الأبد، فالنفط نار تأكل بعضها تدريجياً.. فلا بد إذن من تحويل المخزون النفطي من باطن الأرض إلى مخزون عقلي في رأس الإنسان العربي من خلال خطة عربية شاملة.
والأرصدة العربية رهينة في يد الغرب، يجب ألا تبقى كالأرصدين معلبة في مصارف الغرب، وإنما يجب أن تكون قادرة خلال هذا القرن، على تغيير خريطة العالم العربي تصنيعاً وتعميراً وتعليمياً وثقافةً وتحديثاً.

فالاستثمارات العربية تمثل أكبر الاستثمارات في سوق المال الغربي، حيث إن أرصدة دول مجلس التعاون وحدها 150 مليار دولار.

فمتى يقبض العرب على الزمن المدهش، ويتحول 150 مليون عربي إلى بحر من العنفوان والكرامة؟
مع قليل من مراجعة النفس، وقليل من مراجعة التاريخ، وقليل من مراجعة الضمير، يستطيع العرب أن يكتشفوا أنفسهم، وبعملية حسابية غير معقدة يثبتون للعالم أنهم قادرون على شراء حاضرهم وشراء مستقبلهم.
فالعروبة هي عروبة المواجهة مع النفس..
والعروبة هي عروبة المواجهة والتطبيق..

نافذة على الأفق الأخضر¹

إذا لم يكن لمؤتمر القمة الاستثنائي العربي الذي انعقد في "عمّان" أخيراً من فضل سوى أنه زحزح الستائر الرمادية عن الزنزانة الضيقة التي حبسوا فيها الأمة العربية، فصار بوسعنا أن نرى الشمس مرة أخرى.. لكفى.

وإذا لم يكن لمؤتمر القمة من فضل سوى أنه أصلح اعوجاج عمودنا الفقري، بعد أن تفككت فقراته، وسببت لنا "ديسكاً" سياسياً خطيراً منعنا من الحركة لمدة ثماني سنوات.. لكفى.

لقد دخلنا منذ عام 1979 في نفق طويل ومسدود.. حتى صار الإنسان العربي يشك في ذاته.. وفي تاريخه.. وفي ما يقرأ.. وما يسمع.. وفي قدرته على الخروج من هذا النفق اللا قومي الذي أدخلنا فيه..

1 كتبت المقالة عام 1989 بعد مؤتمر قمة عربية عقد في الأردن كان من أهم قراراته عودة مصر إلى جامعة الدول العربية بعد عشر سنوات من المقاطعة.

سنوات كنا فيها أشبه بإنسان أهل العصر الحجري.. لا يقرأ.. ولا يكتب ولا يميز بين الألوان.. بل كنا كمرضى دخل في حالة "الكوما" بانتظار إعلان موته الرسمي.

لا أريد أن أتفاءل كثيراً ولا أن أفرح كثيراً.. لأنني أعرف أن العالم العربي غير مسموح له بأن يفرح أكثر من خمس دقائق.. وأن الأعراس عندنا لا تلبث أن تتحول إلى مآتم.. لكنني أمام البيان الختامي لمؤتمر القمة، أجد أن نافذة صغيرة على الأفق قد فتحت.. وأن العقل العربي بدأ يعود إلى مرحلة الصحو..

لم نكن نريد من الزعماء العرب شيئاً كثيراً.. كنا نريدهم أن يعرفوا أن الوجود العربي كله على كف عفريت.. وأنهم إذا لم يتفقهوا، ويرصوا صفوفهم، ويلبسوا ملابس الإطفاء.. فإن النار سوف تأكلهم جميعاً..

كنا نريد منهم أن يعرفوا أن هناك خطراً كبيراً يهدد الأمة العربية بالانقراض.

وأنا أعتقد أن الأخطبوط الإسرائيلي بعشرة أذرع، وهو الأكثر فتكاً؛ فالحلم التوراتي يبدأ من النيل إلى الفرات.

إن إعادة تسع دول عربية علاقاتها الدبلوماسية مع مصر،

كانت في اعتقادي جائزة المؤتمر. فعزل مصر عام 1979 عن جسد الأمة العربية، كان كارثة كبرى، وانفعالاً رومانسياً، لأن الإنسان مهما بلغ به الجنون فإنه لا يقطع يده اليمنى.. ولا يفقأ عينه.. ولا ينتزع قلبه من بين أضلاعه.. ومصر كانت على امتداد التاريخ الثقل الإستراتيجي والعسكري والسياسي والثقافي للوطن العربي، وبإسقاط دورها العربي سقطنا في عصر الانحطاط السياسي والعسكري والقومي. لقد أردنا أن نعاقب أنور السادات على ذهابه إلى إسرائيل وتوقيع معاهدة الصلح معها.. ولكننا في الحقيقة عاقبنا مصر وعاقبنا أنفسنا..

لقد أدى إخراج مصر من المسرح السياسي العربي إلى حالة من الدوار والترنح والغثيان.. لا تزال نعاني منها حتى الآن..

فالغزو الإسرائيلي لبيروت عام 1982، والحرب الأهلية في لبنان، والعريضة الإيرانية في الخليج، وتبدد فصائل المقاومة الفلسطينية.. كل هذا وقع لأن مصر غابت عن الصورة، ولم تعد النجم الرئيسي على المسرح القومي.. ولهذا فشلت كل المسرحيات السياسية العربية التي قام

ببطولتها ممثلون آخرون.. وبقي دور البطل ينتظر من يملؤه.
 إن عودة مصر إلى المشاركة في مصير العائلة العربية هي
 من غير شك أهم إنجاز من إنجازات مؤتمر القمة، وسوف
 تثبت الأيام القادمة أن العرب إذا لم يتفقوا على حماية
 أنفسهم فلن يحميهم أحد.. لا الأساطيل الأمريكية.. ولا
 الفرقاطات الإنكليزية.. ولا كاسحات الألغام الفرنسية
 والإيطالية والهولندية..

إن الأمن المستعار هو أمن هش ومؤقت، وقد آن للعرب
 أن يعرفوا أنهم إذا لم يحرسوا بوابات أوطانهم فلن يحرسها
 أحد.. واللحم العربي إذا تناثر فسوف تأكله الغربان ونوارس
 البحر.. وقراصنة الاستعمار الجديد..

وبعد.. فإنني أعتقد إذا دخل العقل العربي مرحلة الصحو
 أنقذ أجسادنا من التآكل، وحى لحمنا من الغربان،
 والجرذان، والصقور الجائعة.

قتلة بالوراثة¹

يوم الأحد "الأسود" الذي سقط فيه ثمانية قتلى من العمال الفلسطينيين برصاص مستوطن صهيوني متعصب، ليس يوماً جديداً على إسرائيل، ولا مختلفاً عن بقية أيامها، فتاريخ إسرائيل في المنطقة كان دائماً تاريخاً أسود، بل تاريخاً حالك السواد..

منذ تشكيل عصابات شتير والهأغانا والأرغون في الأربعينيات، حتى تشكيل "جيش الدفاع الإسرائيلي" لم تختلف الأساليب، ولا طرق الممارسة، وإنما تحول الإرهاب من إرهاب فردي إلى إرهاب رسمي..

واللافت للنظر أن رؤساء العصابات الذين ارتكبوا المذابح الدموية في دير ياسين، وقبية، وكفر قاسم، هم

1 مجزرة "عيون قارة" 20 مايو 1989 حيث قام اليهودي عامي بوبر بإطلاق النار بشكل عشوائي على مئة عامل فلسطيني فسقط منهم سبعة قتلى وعشرات الجرحى.

أنفسهم قادة دولة إسرائيل الآن، والمسؤولون عن سياستها الخارجية والدفاعية والإستراتيجية.

فإسحاق شامير، وإسحاق رابين، وأرييل شارون، كانوا نجوم الإرهاب وأبطاله عام 1948، ولا يزالون يلعبون الدور الإرهابي ذاته وهم على كراسي السلطة.

إذن، فإن قتل ثمانية.. أو ثمانمئة.. أو ثمانية آلاف فلسطيني من قبل مستوطن إسرائيلي، لا يثير الدهشة، لأن الإرهاب بالنسبة لإسرائيل جزء من تشكيلها العضوي والوراثي.. وجزء من غرائزها الأولى..

وكما لا يستطيع الذئب أن يتحول إلى حمامة، ولا يستطيع الثعبان أن يتحول إلى غزال.. فإن إسرائيل لا تستطيع أن تتخلى عن القتل، لأنه جزء أساسي من فطرتها ومن جيناتها الوراثة..

ومادام إسحاق شامير ذو السجل الإرهابي المعروف مكلفاً تشكيل الوزارة الإسرائيلية الجديدة، ومادام أرييل شارون "فاتح بيروت" يطمح في العودة إلى وزارة الدفاع، ومادام مايير كاهانا يطالب باستئصال الجنس الفلسطيني

من أساسه، وما دامت الولايات المتحدة الأمريكية تغطي عورة إسرائيل بورقة "الفيتو".. وتكافئها على قتل الأطفال، واغتصاب الأرض.. وتغذيها بالهرمونات والفيتامينات على حساب الشعب الفلسطيني، فإن علينا أن ننتظر أكثر من "أحد أسود" وأكثر من مجزرة.. وأكثر من حمام دم..

إن "الهولوكوست" الذي استعمله النازيون لحرق اليهود في الحرب العالمية الثانية، لا يختلف عن الهولوكوست الذي يستعمله الإسرائيليون الآن لحرق الشعب الفلسطيني، فلماذا تحاكم الدول العظمى مجرمي الحرب النازيين.. وتترك قاتلي الأطفال الفلسطينيين طلقاء؟..

إن الرأي العام العالمي منحاز إلى كل ما تقترفه إسرائيل من جرائم ضد الإنسان، كأن دم العالم أصبح دماً عبرانياً.. ليس هناك أسرار ولا مفاجآت لدى إسرائيل، فهي منذ تأسيسها في 15 أيار 1948، تجتاحنا بالأسلوب ذاته.. وتضربنا بالأسلوب ذاته.. وتذبحنا بالسيف ذاته، حتى صار العدوان الإسرائيلي علينا عدواناً كلاسيكياً.. يعرفه أصغر ملحق عسكري في أصغر سفارة..

أما نحن فلا نزال منذ خمسين عاماً مستمرين في دهشتنا
 واستغرابنا.. حتى صارت دهشتنا هي الأخرى كلاسيكية.. بل
 إن موتنا أصبح أيضاً كلاسيكياً.
 إسرائيل دولة عنصرية، عرقية، نازية، مكشوفة،
 ودستورها المكتوب هو أن تلغينا نحن العرب، وتشطبنا من
 قائمة العنصر البشري.
 ولكن العرب -مع الأسف- لا يقرؤون.. أو لا يستوعبون ما
 يقرؤون.

إسرائيل دولة براغماتية، عملية، تفكر، وتخطط، وتطبق
 أفكارها على الأرض..
 وهي لا تحتاج إلى منجم هندي لاكتشاف نواياها
 ومخططاتها القريبة والبعيدة، فهي تطبق كل تجاربها
 العرقية والتوسعية والفاشية علينا منذ عشرات
 السنين بنسق واحد مكرر يشبه دقائق الساعة.
 كل الحروب التي شنتها إسرائيل علينا، شنتها بالطريقة
 ذاتها.. وكل موتانا ماتوا موتاً متشابهاً..
 أما نحن فقد كنا نبكي بالطريقة ذاتها.. ونلطم خدودنا

بالطريقة ذاتها.. وننشد مرثينا بالطريقة ذاتها.. ونرمي كل
أخطائنا على كتف القضاء والقدر..
هذه هي إسرائيل منذ أن كانت.. وستظل هكذا إلى آخر
إسرائيلي.. أو آخر عربي..
والحديث عن إسرائيل أخرى، تؤمن بالحب، والسلام،
والتعايش مع الأمم الأخرى، هو حديث خرافة..
وكل الذين حاولوا أن يفتحوا ثقباً في جدار الجيتو
الإسرائيلي.. أو يقيموا أي علاقات اجتماعية أو إنسانية مع
"حارة اليهود" قوبلوا بالرفض المطلق..
إن "حارة اليهود" ليست مجرد حارة كبقية الحارات تعيش
فيها أقلية دينية معينة، ولكنها قلعة محاربة لا تسمح لأحد
بدخولها، أو اختراق أسوارها..
إن إسرائيل الحقيقية هي إسرائيل الشعب المختار التي
تريد أن تحطم العالم بكل ما فيه، ومن فيه، لتبقى هي
سيدة العالم.
إنها المسؤولة عن إشعال الحروب، وإثارة الفتن، وتسليح
المافيات، وإمبراطوريات المخدرات..

بل هي تلك التي وقفت وراء كل ما حدث في دول أوروبا الشرقية من تغييرات، حتى سقطت الثمار كلها في سلتها.. إن إسرائيل تلعب بمصير الكرة الأرضية على هواها، وتخطط لعشرات بل لمئات السنين القادمة، وتستغل كل حدث يجري في العالم لمصلحتها..

في حين يتخانق العرب على جنس الملائكة.. ويختلفون على مكان انعقاد مؤتمر القمة.. وعلى جدول أعماله، وعلى من يجلس على يمين الطاولة، وعلى من يجلس على شمالها. أيها السادة..

اجلسوا حيث تريدون.. ولكن لا تتركوا الأمن القومي العربي معلقاً من رجليه على حبال أنانيتكم..

هيروشيما تعتذر للكويت¹

هل كتب الله على الأمة العربية، أن تقتل نفسها بسلاحها
هي.. لا بسلاح الآخرين؟
هل كتب الله عليها أن تنتحر، بهذا الشكل الدراماتيكي،
وتصوب المسدس إلى صدغها، دون أن ترتعش، أو يرف لها
جفن؟
هل كتب الله عليها، كلما دخلت في عصر التنمية،
والتقنية، والازدهار أن تعود مرة أخرى إلى نقطة الصفر؟
هل كتب الله عليها، كلما ازدادت خبراتها، وتضاعفت
مواردها، وازدهر اقتصادها أن تعود من جديد إلى مرحلة
الشحاذة؟
هل كتب الله عليها، كلما جاءها رجل أوقعها في حفرة
أعمق، وجرجرها مرة أخرى إلى الهاوية؟

1 بعد أن غزا صدام حسين الكويت في 2 أغسطس 1990.

هل ما يجري على أرض المنطقة من أحداث حارقة، هو مجرد مصادفة تاريخية، أم أنه أمر محتوم لا نستطيع الهروب منه، أم أنه جزء من تركيبنا العضوي والنفسي؟
 إنني شخصياً لا أؤمن بالمصادفات التاريخية.
 إن كل مصائبنا هي من صنع أيدينا.. كما أن كل الطعام الفاسد الذي تسممنا به.. هو من طبخنا ومطبخنا العربي..
 كفانا تعليق كل حماقاتنا على مشاجب الآخرين..
 فالآخرون لم يفعلوا بنا أكثر مما فعله بنا رجل واحد.. ولم يدمروا بلادنا أكثر مما دمرها رجل واحد..
 قد يكون كلامي جارحاً، وقد أكون متوترة الأعصاب، ولكن نار الخليج التي تهدد بإحراق العالم كله.. رجل واحد قد أشعلها.. فالكبريت هو كبريت عربي.. والوقود هو وقود عربي..
 ولو لم يبتلع النظام العراقي دولة الكويت، ولم يطحن عظامها بمجنزراته.. ومدرعاته.. ودباباته الزاخرة.. لبقيت الأساطيل الأجنبية تستحم في مياهها..
 خلّصنا يا ملاذ الخائفين.. ومجير المستضعفين.. ويا أرحم

الراحمين من هذا الزلزال الذي خرب بيوتنا..
كل هذه المصيبة التي نزلت فوق رأسنا.. ورأس الأمة
العربية.. تسبب بها رجل واحد.. رجل واحد فقط..
خطرله أن يقامر بكل رصيده على طاولة القمار السياسي
والعسكري، فخرّب بيوتنا، وأوصلنا إلى الهاوية.
إن كل تاريخنا -مع الأسف- كتبه رجل واحد.. ويمحوه
رجل واحد.. وكل المصائب التي سقطت على أدمغتنا، كانت
دائماً من صنع رجل واحد.
إن قصة "الزعيم الأوحده"، التي كتبها ذات يوم عبد
الكريم قاسم، ليست قصة فولكلورية من نسج الخيال،
كما تتصورون، ولكنها قصة مأخوذة من صميم الواقع
العربي.
وكلما ذهب عبدالكريم قاسم الأول، جاء عبدالكريم
قاسم الثاني أو الثاني عشر، حسب بيت الشعر المأثور (إذا
مات منا سيد، عاش سيد).
إن انهيار الكويت، على هذا الشكل المأساوي الفاجع،
ليس سوى مقدمة لانهيارات قادمة، وليس سوى حلقة

في مسلسل الخراب الكبير، الذي بدأ بلبنان.. فلبنان هو الفصل الأول في المسرح التجريبي، والكويت هي الفصل الثاني، على هذا المسرح. وإذا استمر "الرجل الواحد" يقرر وحده مصائر البشر، ومصائر الشجر، ويلغي دولاً بمرسوم جمهوري، ويحزح الحدود الدولية كما يحزح حجارة الشطرنج.. إذا استمر "الرجل الواحد" يقول للتاريخ كن فيكون.. فلن يبقى في آخر القرن العشرين دولة عربية واحدة على الخريطة.

سارق العصافير¹

ما أبشع اللعبة التي يلعبها النظام العراقي في قضية الأسرى الكويتيين، وما أرخصها!!!
وإذا كان لكل لعبة قواعدها وأصولها وأخلاقياتها، فإن اللاعب العراقي على ما يبدو كسر كل القيم العربية وكل القواعد الأخلاقية المتعارف عليها.. واستباح كل وصايا السماء.. وكل تعاليم الأنبياء.
ليس ثمة ديانة من الديانات التي عرفها البشر.. سمحت بخنق الطيور.. والعصافير.. والتلذذ ببقائها داخل الأقفاص.
فكروا في سرقة إنسان من زوجته وأولاده وبيته.. وألقوا به في سراديب المجهول.. فلا هوجي يرزق.. ولا هوميت فيدفن..
سادية النظام العراقي ليست جديدة علينا.. فقد عرفناه

1 ظل نظام صدام حسين بعد التحرير يماطل في تسليم الأسرى الكويتيين، كما يماطل في تحديد أماكنهم ومصائرهم.

خلال الغزو العراقي إلى الكويت، من الفضاءات، والانتهاكات، والانحرافات، مما يجعلنا نكاد نترحم على هولاءكو..
وإذا كان النظام العراقي قد أكل أبناءه.. فلماذا لا يأكل
أبناءنا؟

لقد انتهى الفصل الأول من الحرب، وظننا أن النظام
العراقي قد تاب إلى ربه، ودخل مرحلة الاستغفار والندامة.
لكن الذئب على ما يبدو يبقى ذئباً.. كما أن التماسيح
وأسمك القرش، لا تتخلى عن أنبيائها، وتنسب إلى سلك
المتصوفين..

لقد سقط من الكويتيين كثير من الشهداء نعرف
أسماءهم ونعرف عناوينهم في السماء.. ونعرف شواهد
قبورهم.. ونعرف أنهم مدفونون بين ضلوعنا..
ولكن جرحنا الكبير، هو جرحنا بالذين فقدنا أخبارهم،
وفقدنا آثارهم، وفقدنا رائحتهم.. فتحولوا في ذاكرتنا إلى
أسئلة مستحيلة..

إن فرحة تحرير الكويت لا ينغصها إلا غياب أولادنا عن
أهلهم، ووطنهم، وديرتهم.

نحن لا نؤمن برحمة النظام العراقي، ولا بأخلاقه، ولا
بإنسانيته، ولكننا نؤمن برحمة الله، فهو وحده القادر على
فتح بوابات الأمل.. وإعادة العصفير إلى أعشاشها.

الولادة الثانية¹

في اليوم السادس من شهر نوفمبر (تشرين الثاني) 1991..
ولد وطني مرة ثانية وولدت أنا معه..
الولادات السابقة لا أهمية لها، لأنها ولادات بيولوجية،
وكيميائية، تحدث بصورة تلقائية في عالم الإنسان
والحيوان والنباتات.
كل الولادات الأخرى طبيعية.. إلا ولادة الكويت، فهي
ولادة استثنائية أشبه بالخوارق والمعجزات.
من كان يصدق أن الجحيم تنجب أولاداً؟ من كان يصدق
أن وطناً صغيراً كالكويت، يمكن أن يطفأ بفمه، وبأجفانه،
وبدموع عينيه، أكثر من 700 بئر نفط، تركها نيرون خلفه،
لتشوي الكويتيين وهم أحياء!؟

1 في ذلك اليوم أعلن فريق الإطفاء الكويتي إطفاء آخر بئر مشتعلة من ضمن نحو
700 بئر أشعلها صدام حسين في آبار النفط الكويتية قبل أن ينسحب هارباً أمام
جيوش التحرير.

بل من كان يصدق أن نخرج من هذا "الهولوكوست" الرهيب الذي أدخلنا إليه طاغية العراق، ليتلذذ برائحة شواء اللحم البشري؟

هل سمعتم عن (باريكيو) بشري، يوضع فيه الكويتيون كأسياخ اللحم فوق الجمر.. حتى تنضج جلودهم إلى آخر رجل، وآخر امرأة، وآخر طفل فيهم؟ وعلى الرغم من حرارة (الباريكيو) المخيفة، وعلى الرغم من سادية الطاهي.. استطاع الكويتيون أن ينجوا بجلودهم من معركة (أم المطاعم).. وأن ينبعثوا من رمادهم كطائر الفينيق..

اليوم، هو عيدنا القومي الحقيقي.. عيد نشعر أننا نستحقه عن جدارة، عيد لم يأت إلينا من الفراغ، والعدم، والمصادفات الدولية، وإنما جاء مخضباً بدماء الشهداء، ونضال المناضلين، وإيمان المؤمنين.

اليوم يشعر الكويتيون أن عيدهم القومي الجديد، هو ثمرة تحديهم، ومعاناتهم ووقوفهم في وجه البربرية والقهر والطغيان.

لقد كان الكويتيون إطفائي بيتهم، وإذا كنا نحتفل اليوم بإطفاء آخر بئر نطف أشعلها نيرون الشرير، فلا بد من الإشادة بالدور الشجاع الذي لعبه فريق الإطفاء الكويتي الذي استطاع أن يطفئ إحدى وأربعين بئراً مشتعلة، خلال أربعين يوماً فقط، وهو رقم قياسي على الصعيد الزمني..

ومما يشرف الكويت أن تكون إحدى النساء الكويتيات، ضمن فريق الإطفاء، وهذا تكذيب قاطع لكل الأقاويل التي تدعي أن المرأة تشعل الحرائق.. ولكنها لا تطفئها.

نعم.. إنها ولادتنا الثانية.

وأهمية هذه الولادة أنها حدثت بعد مخاض خطير وعسير، وبعد نزيف اقتصادي، وبشري، واجتماعي، ونفسي.

وإذا كان الكويتي قد خرج من أعماق النار.. كما خرج الياباني من حرائق هيروشيما، وكما خرج الألماني من تحت خرائب برلين، فإن التاريخ علمنا أن إرادة الحياة هي دائماً الأقوى، وأن الإنسان هو المنتصر دائماً في معركته مع الطغاة، وصانعي الموت.

طبعاً، نحن لا ننكر وقوف العالم معنا خلال مأساتنا،

ولا ننكر ما قدمته الشعوب الصديقة لنا، عسكرياً، ودبلوماسياً، وإعلامياً، ولكننا نود أن نقول إن صمود الشعب الكويتي، ورفضه شريعة القوة، وتحديه الشر في الآلة العسكرية، ووقوفه بجميع طبقاته في وجه غاصبيه، كان من العوامل الحاسمة في حماية الهوية الكويتية من المحو والاندثار.

وعلى الرغم من أن وجوهنا ملطخة بالفحم والسخام، وعلى الرغم من أن ثيابنا محترقة، وأصابعنا محطمة، وأقدامنا مهشمة.. إلا أن طموحنا ومعنوياتنا، وتطلعاتنا إلى المستقبل لا تزال متوهجة.

والذي بنى كويت الخمسينيات، والستينيات، والسبعينيات، وجعل منها نموذجاً حضارياً وعمرانياً واقتصادياً وثقافياً باهراً لا يزال قادراً على بناء كويت التسعينيات..

سوف ندخل ورشة العمل من جديد، وسوف نَعْمَر الكويت بحجارة العقل، والعلم، والحدثة، ولن ننسى طبعاً أن نكون قبل كل شيء مؤمنين.. أقوياء.

عودة الروح

أستاذنكم في أن أستعير من الأستاذ توفيق الحكيم عنوان كتابه الشهير "عودة الروح" لأطلقه على يوم 26 شباط (فبراير) عام 1992.

ذلك أن هذا اليوم ليس عيد تحرير جسد الكويت فحسب، مما أصابه من لوعات وحروق وكسور، ولكنه عيد تحرير الروح الكويتية مما أصابها من اكتئاب وكوابيس وانهايارات عصبية.

ذلك أن في مثل هذا اليوم قبل عام، رجعت روح الكويت إلى جسدها، بعد أن حاول المغتصب، تحطيم الروح الكويتية، وطمس مقوماتها، وإطفاء بريقها.

وإذا كانت طعنة الجسد قابلة للشفاء، فإن طعنة الروح تحتاج إلى وقت طويل حتى تلتئم.

وإذا كانت الشعوب تحتفل عادة بعيد ميلاد واحد، فإن

الأقدار كتبت على الكويت أن تولد مرتين.. وتبعث من رمادها مرتين.

وإذا كان يوم الاستقلال هو يوم ولادتنا الطبيعية، فإن يوم 26 شباط "فبراير"، هو يوم (ولادتنا الثانية)، أو إذا شئت هو يوم ولادتنا القيصرية، حيث كان لابد من التدخل الجراحي لإنقاذ الأم الكويتية من النزف الكبير، والمخاض العسير.

وبتعبير آخر، لم تتم ولادة الكويت الثانية، في غرفة من غرف الدرجة الأولى في أحد مستشفيات التوليد، ولم تتجمع حول سريرها باقات الأزهار، وعلب الهدايا، وأفواج المهنيين، وإنما تمت الولادة على ظهر مركب يحاصره القراصنة، وتضربه الريح، وتمضغه أسنان العاصفة.

لقد كان إنقاذ الأم الكويتية وطفلها من قبضة القراصنة عملاً أقرب إلى الخرافات والمعجزات، حين قررت دول العالم بإجماع لا سابقة له، أن تقف إلى جانب الأم الكويتية في محنتها، وتنحاز إلى الخير ضد الشر، وإلى الأمومة ضد قاتلي الأمومة، وإلى الحضارة ضد التوحش، وإلى الوردية ضد القنبلة، وإلى لحم الإنسان ضد أسنان المجنرات.

إن تحرير الكويت كان من دون ريب انتصاراً للشرعية الدولية على شرعية الغاب، وللإنسان المتحضر على إنسان المغارة.

وإذا كان العالم قد وقف معنا في معركتنا ضد قوى الظلام، فإن وقوفنا مع أنفسنا كان عاملاً بالغ الأهمية في حسم المعركة لصالحنا، فالكويتيون انتصروا لأنهم يستحقون انتصارهم، وحررتنا عادت إلينا لأننا تصرفنا كأحرار.

إن الوطن ليس مصطلحاً جغرافياً يتشكل من أرض وجبال وأنهار وبحار فحسب، ولكنه عمق روحي يمتد في داخل الإنسان وفي داخل التاريخ.

إن جميع المستعمرين عبر التاريخ، كانوا يعرفون أن اغتصاب روح الشعوب أهم من اغتصاب الأرض، لذلك كانوا يركزون على قتل إرادتها، وغسل دماغها، وإضعاف قواها الروحية، بكل أساليب البطش والطغيان. ويسعدني أن أسجل في هذا اليوم التاريخي أن الكويت ربحت معركة الروح منذ الدقائق الأولى للاحتلال.

فلم تستطع الآلة الحربية العراقية بكل قوتها وجبروتها، أن تحتل بوصة واحدة من روح الكويتيين، وأن تغتال إرادتهم، وكبرياءهم، وترميمهم في بئر القنوط والإحباط. إنني أريد أن أؤكد هذه النقطة السيكولوجية بالذات، فمع اعترافي بأهمية التكنولوجيا، ودور الأسلحة المتفوقة في معركة تحرير الكويت، فإن هناك سلاحاً سرياً استعمله الكويتيون بمهارة خلال مرحلة الاحتلال، ألا وهو سلاحهم السيكولوجي وشجاعتهم الروحية.

وإذا كانت القوات الدولية المتحدة، قد لعبت دورها الحربي بإتقان.. فإن النفس الكويتية المتحدة.. والعائلة الكويتية المتحدة.. والمقاومة الكويتية المتحدة.. لعبت هي الأخرى دورها في وقت انتشار الطاعون..

فلو أن الغزاة وجدوا ثغرة صغيرة في الجدار الكويتي لتسللوا منها إلينا.. ولو أنهم عثروا على كويتي واحد يرضى أن يكون لهم أجيراً.. أو دليلاً.. أو سمساراً.. لطالت إقامتهم بيننا..

ولكنهم لم يجدوا على امتداد هذا الوطن النظيف،

والشامخ والمترفع، صرصاراً واحداً يغنيّ لهم.. أونملة واحدة تدلهم على الطريق.

هذه الكلمات أقولها لوجه الله أمام من سيكتبون ذات يوم قصة تحرير الكويت، حتى لا تختلط الأوراق، وتُسوّه الحقائق، وتضيع في عتمة الكواليس وجوه الآلاف من المناضلين الكويتيين، رجالاً، ونساءً، وأطفالاً، نزفوا على تراب الكويت، وماتوا دفاعاً عن شرفها وسيادتها وكرامتها.. هؤلاء لم يكونوا أبداً أبطالاً هامشين، ولا ثانويين، في قصة تحرير الكويت، وإنما كانوا أبطالاً من الدرجة الأولى. فإلى جميع أبطالنا الكويتيين، سواء كانوا في الأسر.. أو كانوا في القبر.. أو كانت لهم عناوين معروفة.. أو كانوا بلا عناوين..

إلى هؤلاء المحفورة أسماءهم في ذاكرتنا وفي ذاكرة الوطن.. تحيةً من القلب باسمي وباسمكم، وشكراً لهم حيث كانوا في الأرض أو في السماء، لأنهم شاركوا في صنع هذا اليوم المشرق من تاريخنا..

شكراً عظيماً لهم.. لأنهم عجلوا في "ولادتنا الثانية".

مبروك على الكويت ولادتها الجديدة¹

على التلفون، نقلوا لي إلى لندن نتائج انتخابات مجلس الأمة..

وعلى التلفون صرختُ: "مبروك على الكويت ولادتها من جديد" ..

ومبروك على شعب الكويت ولادته من جديد..
ومبروك على كل امرأة كويتية ولادة أجمل طفلة ولدتها حتى اليوم، وهي "الديمقراطية".

قد تقولون لي: لا تستسلمي للانفعال السريع، ولا تحكمي على الأشياء بمنطق العاطفة، انتظري قليلاً حتى تعرفي شكل المولود.. ولون عينيه.. وكم طوله.. ووزنه.

هذه الأشياء كلها ثانوية، فأهم ما في المولود أنه ولد.. وأهم

1 نشر هذا المقال بتاريخ 22 فبراير 1985، وذلك بعد انتخابات مجلس الأمة الديمقراطية التي أفرحت الجميع بنتائجها بعد طول انتظار.

ما فيه أنه جاء بعد سنوات طويلة من العقم، والجفاف، والانتظار.

كل مولود يحمل معه البركة والخير والتغيير..

وهذا المولود بالذات سيقرب حياة البيت الكويتي، فتحلّ الفرحة محل الكآبة، وتدخل الشمس إلى غرف الدار بعد طول تعقيم، وتتفتح أزهار الأمل في المزهريات، وتنبعث رائحة القهوة المعطرة من جديد في الديوانيات، وتزغرد النساء، ويتراكم الأطفال، وتدب الحياة في البيت الكبير، بعدما كان موحشاً، وكئيّباً، وبارداً كقطعة الجليد.

لا أريد أن أنتظر لأقول رأيي في الطفل الجديد.. فبإحساس المرأة المثقفة أقول لكم إنني أحبه.. وبإحساس المرأة التقدمية أقول لكم إنني أحبه.. وبإحساس المرأة القومية الوحودية العربية أقول لكم إنني أحبه.

لا أريد أن أنتظر شهراً أو شهرين.. سنة أو سنتين.. لأقرر إن كنت أحبه أم لا.. أكيد أنه سيكون طفلاً جميلاً، لأنه خرج بعد مخاض طويل من دموعنا، ونزيفنا، وتعبنا القومي والسياسي والمالي والاقتصادي والثقافي.

يكفي أنه سيحررنا من كوابيس الماضي، ويفتح لنا نافذة على المستقبل، ويعيد إلى الكويت نصاعة وجهها، وعراقة قيمها، وحقيقتها القومية والديمقراطية والإنسانية.

إنني متفائلة جداً بهذا المولود الذي لم أرَ وجهه حتى الآن.. ولكنني أستطيع أن أتصوره فارساً عربياً كويتياً يقاتل من أجل كبرياء الوطن وكبرياء الأمة العربية، ومن أجل القيم والمثل العليا..

أستطيع أن أتصوره شاباً تقدمياً، ومتحرراً من كل العقد القبلية، والطائفية، والفئوية، والرجعية.

أستطيع أن أتصوره شاباً مستنيراً، يتعامل مع المرأة بحضارة، ويحترمها ككائن بشري، ويقدها كإنسان، ويشكل معها طريقاً واحداً لتأسيس الوطن.

أستطيع أن أتصوره شاباً ذا طموح كبير، ورؤية مستقبلية، وعقل علمي منظم.

وأتصور أنه سيدخل الكويت عصر الحداثة من أوسع أبوابه، كما أستطيع أن أجزم أنه سيسكن في فندق القرن الواحد والعشرين..

لا أستطيع أن أخبركم بكل ما سيفعله طفلي من أجل
الكويت، ومن أجل الأمة العربية، ومن أجل التقدم، ومن
أجل الحضارة..

كل ما أستطيع أن أقوله لكم: إنني أحبه.. وأثق به.. فأرجو
أن تحبوه معي.. وثقوا به مثلي، فهو طفل رائع.. رائع.. رائع.

سفير .. بعباءة إسرائيلية

يريدون أن نبتلع بالإكراه.. سفيراً كان يشتغل في إسرائيل!!
ولأن الكويتيين لا يحبون بالإكراه..
ولا يفهمون الغزل بالإكراه..
ولا تُفرض عليهم الأشياء بالإكراه..
فقد رفضت حكومتنا الرجل القادم إلينا بعباءة
إسرائيلية..

كم أنا فخورة مغتبطة بهذا الموقف الكويتي الرائع..
إنه تعبير عن كرامتي، وعن شعوري القومي ككويتية..
فألف تحية إلى أصحاب القرار.. وإلى المزيد من قرارات
العنفوان.

هذا ما أردت أن أقوله أولاً..
إن هذا القرار على بساطته، هو محاولة للتحرر من عقدة
النقص التي نشعر بها تجاه الدول العظمى، ومحاولة لإفهام

الولايات المتحدة بشكل خاص أن أوامرها ليست دائماً مطاعة.. وأن سفراءها ليسوا دائماً على العين والرأس.. وأن البيت الأبيض ليس الكعبة التي ندور حولها خائفين خاشعين.

قرار حكومتنا عمل من أعمال السيادة والعنفوان، نؤيده بكل جوارحنا وأحاسيسنا القومية.

قد يبدو في ظاهره عملاً إدارياً كلاسيكياً، حيث إن لكل دولة الحق -عندما تُستمرج في ترشيح أحد السفراء الأجانب- أن تقبله أو ترفضه، ولكن تصرف الكويت هذه المرة ينطوي على موقف نقدي من السياسة الأمريكية في الشرق الأوسط، كما ينطوي على احتجاج مهذب على سوء الاختيار، وعدم مراعاة مشاعر الكويتيين تجاه قضية القضايا "فلسطين".

وإذا كنا لا نملك القوة المادية للتعبير عن سخطنا واستيائنا من ممارسات الولايات المتحدة، وعدوانها اليومي المستمر على الحقوق العربية، فإن أضعف الإيمان أن "نلدغ" على طريقة النحل.. أو "نعض" على طريقة سمك

القرش.. والحمد لله أن بقعة الزيت لم تقطع نسل سمك القرش في الخليج، وإلا لخسرنا نصف قواتنا المسلحة.. وبقينا وطناً بلا أسنان.. ولا عنفوان.

أنا لا أدعي أننا بعملنا هذا فتحنا القسطنطينية.. فنحن دولة صغيرة على مياه الخليج، لا تملك أساطيل وحاملات طائرات وغواصات وطائرات أواكس.. لكننا "حين نحشر" في الزاوية فإننا نعض كأسمك القرش.

وليس المهم أن تنتصر السمكة على حاملة الطائرات، ولكن المهم أن تستعمل السمكة زعانفها، وتقاوم إرادة الحيتان، وطغيان البحر.

الموقف الكويتي من ترشيح السفير الأميركي الجديد، قد لا يكون معجزة خارقة، أو عجيبة من عجائب الدنيا السبع، ولكنه خدش على وجه الولايات المتحدة يحتاج إلى بعض الوقت حتى يلتئم.. وحجر صغير نلقيه على نوافذ البيت الأبيض، علّ النائمين في الداخل يحسون بما يجري في الخارج.

قد يكون الرفض الكويتي غير ذي جدوى في تغيير بوصة

واحدة من الإستراتيجية الأميركية، وقد لا تكون ألوف الحجارة كافية لإيقاظ ضمير أميركا، وقد يكون جميع سفراء الولايات المتحدة متشابهين كأسنان المشط، كالسفير فيليب حبيب الذي ظننا أن اسمه اللبناني سيدفعه إلى مراعاة حقوق الخبز، والملح، والتبولة والكبة النيّة، فإذا به من خريجي المطبخ الإسرائيلي، ويتوقف عن الكلام مع العرب، إذا دخل يوم السبت.

إن سفراء أميركا، هم صورة عن أميركا.. وكل محاولة للبحث عن سفير أمريكي لم يرضع من ثدي إسرائيل.. ولم يكن تلميذاً لها.. هي محاولة ميئوس منها.

وإذا كانت هذه هي أميركا كما خلقها الله.. أو اختلقها إسرائيل، فهل يعني هذا أن نستسلم للأمر الواقع؟
أبدأ.. فطاقة الشعوب الصغيرة على المقاومة لا نهاية لها. حتى الكائنات الصغيرة من بعوض، و"أبو بشير" و"أبو جعل"، وجراد.. تعرف كثيراً من قوانين المقاومة وأسرار حرب العصابات..

فلماذا نسيت الشعوب العربية ذاكرتها القتالية؟

ولماذا باعت خيولها وسيوفها في المزاد العلني..؟
ولماذا صار الجهاد للحصول على قصر في "الكوت دوزور"
أهم من الجهاد للحصول على قصر في الجنة؟؟
إن أسوأ العصور حقاً هي العصور التي يبيع فيها الإنسان
مسدسه ليشتري جهاز تلفزيون.. وأكثر الأزمنة بشاعة هي
الأزمنة التي يفقد فيها المطعون قدرته على الصراخ.. وتفقد
فيها العيون قدرتها على البكاء..
إن العرب يعبرون اليوم أطول وأظلم نفق عبروه في
تاريخهم.
فكيف الخروج من هذا النفق..؟
كل ما علينا أن نفعله هو أن نخرج من صندوق الهوان
الذي وضعنا أنفسنا فيه، ومن مرحلة المسaire والإذعان..
إلى مرحلة الهجوم والعصيان.

خسرناك أيتها السيدة الاستثنائية

صعب أن يكتب أي إنسان عن امرأة ليست كسائر النساء، فتاريخ هذه السيدة الاستثنائية مكتوب بالدم والثورة والتحديات.

أنديرا غاندي تاريخ من النار والنور.. ومن يقترب من النار لا بد أن يُحرق.. ومن يقترب من النور لا بد أن يتطهر.
تخرج أنديرا غاندي من كتاب التحدي.. لتثبت للعالم أن المرأة تستطيع عمل المستحيل، في دولة اختلفت لغاتها وقومياتها ومذاهبها.

تتحدى، وتحكم قارة يحكمها الجهل والفقر.. وتنام على فراش من المسامير، والأشواك، والمتاعب اللانهائية.
كان بينها وبين الموت اتفاق يومي.. كان يخجل منها مرات، ولكنه يتربص بها.. وهي تعلم أن الموت ينتظرها في كل زاوية من زوايا الهند، حيث تختلط المصالح والرغبات والأهواء.

ولكنها كانت قوية وجسورة، تقاتل ببسالة فدائي للدفاع
عن الهند وعن المرأة.
فإذا خسرتك أيتها العظيمة.. وكان القدر أقوى من أن
يُرَدَّ.. فالذنب ليس ذنبك لأنك لم تكلمي الرسالة، ولسوف
تبقين أطهر الرائدات في هذا العالم.
وإذا كان قلبك قد توقف عن النبض.. فإن قلب الهند
العظيمة سيبقى نابضاً.. ولسوف تبقين في دورتها الدموية
شاهداً على حضارة الهند.. وجاهلية الإنسان.
لماذا يحدث كل هذا؟ ولماذا يقتلون؟ ويتقاتلون؟ من الذي
يخطط لاغتيال الياسمين؟ ومن الذي ينفذ؟
هناك عبثية تحرك العالم.. فألوف الأشياء تحدث دون
تفسير! وألوف الأشياء ترحل.. وكان عليها أن تبقى.
ألا يحتمل هذا العالم الشجر.. والحمام.. والنجوم؟

بمناسبة ذكرى الوحدة العربية

الوحدة العربية هي الأصل، وبالتالي فإن الوحدة هي القدر النهائي والحتي الذي لا تستطيع الأمة العربية أن تهرب منه، إذا أرادت أن تكون أمة عظيمة ولها دور عظيم تلعبه على مسرح الأمم.

وإذا أردنا أن ندخل في تفاصيل الزمن، ونتجول في غرف التاريخ، نقول إن العرب في أكثر مراحل حياتهم كانوا ينتمون لدولة مركزية واحدة عاصمتها دمشق أو بغداد أو القاهرة، باستثناء الفترات التي أصابهم فيها الوهن ومزقتهم الخلافات وفتكت بهم المؤامرات الداخلية والخارجية.

فالدولة الأموية كانت دولة وحدوية ومركزية من الطراز الأول، وكذلك كانت الدولة العباسية. وفي زمن هاتين الوحدتين عرفت الأمة العربية أزهى عصورها السياسية والعسكرية والثقافية والحضارية، وتمكن العرب بفضل

عقيدتهم الموحدة وجيوشهم المتحدة من أن يصلوا عسكرياً إلى جبال البيرينيه في أوروبا، وقيموا ملكاً عظيماً في إسبانيا، استمر سبعة قرون، ويواصلوا دعواتهم إلى بحر الصين، وبحر الظلمات، وشعوب جنوب شرق آسيا.

إذن، فالشعب العربي ليس شعباً بلا طموح ولا تطُّع ولا ذاكرة، ولكنه بحاجة إلى قيادة موهوبة تعيد إليه الإيمان بنفسه، وتحرضه على أن يلعب دوره التاريخي والحضاري مرة ثانية.

ولقد ثبت تاريخياً أن الفكر الوجدوي متلازم مع القوة، فالإنسان القوي هو الإنسان الوجدوي، أما الإنسان الضعيف فهو إنسان خائف ومنعزل ومتقوقع، وتأكله المخاوف والشكوك من الآخرين.

إن العمل الوجدوي هو فعل عطاء بالدرجة الأولى، والفكر الوجدوي لا يمكن أن يكون فكراً حسابياً وأنائياً ونرجسياً. وربما كانت هذه النقطة بالذات هي وراء انحسار التفكير الوجدوي بعد ازدهاره في الخمسينيات، فالأقطار العربية تبدو الآن مجموعة من الجزر النائية، المتقاتلة، المتناحرة،

التي لا يجمع بينها شيء، إنها جزر يتجسد فيها الإحساس القُطري، بأعلى أشكاله، كلما تتجلى فيها الأنانية وعبادة الذات وإيثار المصلحة القُطرية الضيقة على المصلحة القومية العليا..

والملاحظة الثانية التي أود أن أبدأها، هي أن الوحدة مطلب شعبي، وأن الجماهير العربية، التي تشكل قاعدة الهرم، هي التي وقفت وتقف وراء تحقيق الحلم التاريخي الكبير، في حين إن بعض السلطات العربية التي تجلس على قمة الهرم، هي التي تقيم العقبات والسدود في وجه الوحدة، وهي التي تجهض أي مشروع وحدوي أو اتحادي يلوح في الأفق.

إذن، فالجماهير العربية هي وحدوية (بالفطرة)، بينما أكثر الحكومات العربية هي انفصالية (مع الإصرار والتصميم)، ورغم ادعاء بعض الدول العربية ذات الأيديولوجية الوحدوية الاشتراكية بأن الوحدة هي العمود الفقري في سياستها، فإن ممارستها على صعيد التطبيق تناقض تناقضاً عظيماً عقيدتها النظرية المعلنة.

ولا شك أننا قد أصبنا بالألم والإحباط لسقوط المشروع
الوحدوي بين سوريا والعراق الذي كنا نعلق عليه آمالاً
كبيرة، وللمشروع الوحدوي الثلاثي بين سوريا ومصر
وليبيا، وللمشاريع الوحدوية الخاطفة التي قامت في دول
المغرب العربي بين ليبيا وتونس مرة، وبين ليبيا والمغرب مرة
أخرى، ثم انتهت جميعاً إلى الإفلاس.

ولعل السبب في انهيار هذه الوحدات الهشة، أن الشعب
لم يكن طرفاً فيها، وأن بعض الحكام قد وقّعوا عليها
مدفوعين بأغراض حزبية، وتكتيكات سياسية وإقليمية،
فلما انتهت المصلحة الطارئة، والأهداف الحزبية المرسومة،
تحولت اتفاقات الوحدة إلى قصاصات ورق..

وهذه الملحوظة، تقودنا تلقائياً إلى مناقشة قضية
الديمقراطية في الوطن العربي، فالحكم الفردي مهما
كانت شعاراته براقية، ومهما رفع من لافتات عريضة فإنه
لا يستطيع أن ينفرد باتخاذ القرارات في القضايا القومية
الكبرى كقضية الوحدة. وطالما أن الشعب غائب أو مغيب
عن الإدلاء بصوته في المشاريع المتعلقة بمصيره ومستقبله،

فإن الوحدة عندئذ ستكون بين أنظمة لا بين شعوب، والأنظمة –ولا سيما في دول العالم الثالث- أنظمة طارئة ومهترّة وقابلة للسقوط في أي لحظة، في حين تتمتع الشعوب بصفة الثبات والديمومة، وتكون أقدر على احترام توقيعيها وحماية تعهداتها.

إن الوحدات التي تتم بشكل سرّي، وبعيداً عن إرادة الشعوب ورقابتها ومباركتها، هي وحدات سريعة العطب وقائمة على النزوات الفردية، والدعاية الإعلامية، والأساليب الماكيافيلية.

وتبقى الديمقراطية هي صمام الأمان الذي يمنع الحاكم من أن يتاجر أو يغامر أو يقامر بالوحدة.

إن الوحدة هي فعل إيمان، ونرفض أن يستعملها الحاكم كقميص عثمان لزيادة شعبيته أو لاقتناص أصوات الناخبين.

ومرة أخرى نقول إن الشعب العربي لديه استعداد فطري للوحدة، فهو يشعر بأنه قوي بها، وأنه من دونها معزول، ومستهدف، وخفيف كريشة في مهب الريح..

ولكن الشعب العربي لا يملك من أمره شيئاً، لأن الأوصياء عليه يتصرفون بإرادته، وبأمواله وبعقاراته، ويتكلمون بالنيابة عنه، ويوقعون بالنيابة عنه..

إذا كان بعض القادة العرب يترددون في اتخاذ خطوة وحدوية خوفاً على امتيازاتهم، وإقطاعاتهم السياسية والمالية، ووجوههم الشعبية التي يتولى التلفزيون نقلها في كل نشرة أخبار.. أقول إذا كان بعض حكامنا يتضايقون من الوحدة وتشجب وجوههم عند ذكر اسمها، فما موقف الدول الغربية، وعلى رأسها الولايات المتحدة الأمريكية، من وحدتنا؟

الجواب معروف سلفاً، فالاستعمار الغربي متفاهم ومتفق على أن أي نوع من أنواع الوحدة بين العرب هو تهديد للنفوذ الغربي في هذه المنطقة، وبالتالي فإن عليهم قتل أي نواة وحدوية في مهدها، قبل أن تتحول إلى نطفة حية.

هذا هو منطق الاستعمار منذ نهاية الحرب العالمية الأولى حتى اليوم، فالاستعماران البريطاني والفرنسي تقاسما

المنطقة العربية من الخليج إلى المحيط، وكانت سياستهما متفقة على تحويل الخريطة العربية إلى لوحة فسيفساء تتناثر فيها الأقليات الدينية واللغوية والمذهبية، وتشجيع هذه الأقليات على الاحتفاظ بعاداتها ومقوماتها بحيث لا تذوب في محيطها الكبير، ولا تشكل أي قوة حقيقية تكون خطراً على الدولتين الاستعماريّتين.

وجاء وعد بلفور ليضيف أقلية يهودية إلى الأقليات الأخرى في المنطقة، ويعطيها مفاتيح فلسطين، ويطلق يدها العسكرية لتكون أقوى الأقليات في المنطقة، وتكون شرطي المنطقة الذي يتولى ضرب أي دولة عربية ترفع رأسها ضد الإمبريالية الغربية.

إن الاستعمار الغربي منذ معاهدة سايكس - بيكو 1919 حتى اليوم لم يغير طريقته الكلاسيكية في تفرقة الشعوب وتجزئتها إلى: سنة، وشيعة، ودروز، وأشوريين، وعلويين، وموارنة، وأكراد، وأرمن، وتركمان، وسريان.. إلى بقية اللوحة السريالية.

وجاءت الولايات المتحدة بعد الحرب العالمية الثانية لترث

الاستعماريين البريطاني والفرنسي في المنطقة، وتواصل التكتيك ذاته ولكن بذكاء أقل.. وحماسة لا نظير لها. وإذا كانت بريطانيا أعطت إسرائيل موطن قدم في فلسطين، فإن الولايات المتحدة الأمريكية تبنت إسرائيل من الباب إلى المحراب.. وتولت دفع ثمن كل احتياجاتها العسكرية والحياتية والغذائية؛ من رغيف الخبز والحذاء والجورب.. إلى طائرة ال ف 16 المقاتلة.. وعقدت معها اتفاقية إستراتيجية تسمح لها -أي لإسرائيل- باحتلال أي مدينة عربية تختارها في أي وقت تختاره، وضمنت لها استعمال الفيتو في مجلس الأمن لإسقاط أي قرار يتخذه المجلس لإدانتها.

وإذا كانت أمريكا قد تقمصت إسرائيل بحيث لا يمكن لأشعة الليزر أن تكتشف حدود هذه من حدود تلك، فماذا يمكن أن يكون موقف الولايات المتحدة من الوحدة العربية؟

سؤال ساذج بكل تأكيد.. لأن العرب كلهم بملايينهم المئة والخمسين، وأرصدتهم التي لا تغيب عنها الشمس،

وثرواتهم الخرافية، وموقعهم الجغرافي الفريد على مدخل
ثلاث قارات.. لا يساوون شعرة من شعرات إسرائيل في
الحسابات الأمريكية..

تلك هي قضيتنا مع أمريكا التي كلفت وكيلها رامبو
"الإسرائيلي" اعتراض طائراتنا، واحتلال مدننا، وتصفية
الشعب الفلسطيني حتى آخر طفل فيه.. بل تصفية الشعب
العربي حتى آخري ساري أو يميني فيه، فأمريكا، كما تبين من
تجارنا معها، لا تهتم لا بيميننا ولا بيسارنا.. ولا بتقدمييننا
ولا برجعييننا.. ولا بمحافظييننا ولا براديكالييننا.
إن كل اهتماماتها محصورة ببطلها "رامبو" الذي أوكلت
إليه أخيراً مهمة إبادة العرق العربي.

جمهورية الـ "دياسبورا" العربية

هل تعرفون ماذا تعني كلمة (دياسبورا)؟
كثير منكم يعرف معناها بحكم قراءته السياسية،
وللذين لا يعرفون أقول إن (دياسبورا) هي اسم يطلق على
يهود الشتات، الذين هاموا على وجوههم قروناً طويلة،
وتناثرت جالياتهم في كل أرجاء الأرض، حتى سمحت لهم
ظروف التآمر الدولي، ومخططات الدول الاستعمارية،
والغفلة العربية، بالعودة إلى أرض الميعاد، حيث أقاموا
دولتهم على أرض فلسطين المغتصبة في 15 أيار (مايو)
1948.

إذن فكلمة (دياسبورا) ملتصقة تاريخياً ولغوياً باليهود
المبعثرين في زوايا هذا الكوكب، والذين عرفوا كيف يبتزون
العالم بهذه الكلمة التراجيدية الإيقاع، ويستدرّون دموعه،
وأمواله، وصحافته، وأجهزته الإعلامية، ويوظفونها في

خدمة حلمهم التوراتي.
 هذا ما يقوله التاريخ.. ويقوله علم اللغات..
 ولكن يبدو أن وقائع التاريخ يمكن أن تتغير.. ومفردات
 اللغة هي الأخرى عرضة للتحويلات.
 فقد اختفت كلمة (دياسبورا) من القاموس العبري..
 لتدخل في القاموس العربي. ولم يعد التاريخ يتحدث عن
 الشتات اليهودي، والتيه اليهودي.. والضياع اليهودي.. وإنما
 صار يتحدث عن ولادة (دياسبورا عربية) جديدة، تحمل
 حقائقها وأطفالها وأحزائها على أكتافها، وتتسكع على أرضية
 المدن الغربية.. بحثاً عن فتات الخبز.. وفتات الحرية.
 نعم.. كلنا دياسبورا.. سواء كنا في بريطانيا، أو فرنسا أو
 لندن، أو فرانكفورت أو جنيف، أو مونتريال، أو موسكو، أو
 بودابست، أو براغ، أو بكين.
 إن رائحة المنفى واحدة.. والمنفيون على اختلاف مواقعهم
 الاقتصادية، والاجتماعية، والثقافية، والحضارية،
 يصبحون في ليل المنفى متشابهين كأوراق العملة.. وأحذية
 الفقراء.. وقبور الموتى..

هل جرّبت مرة أن تحدّق في عيون عرب دياسبورا؟..
هل جرّبت أن تراقب ألوانهم، وهم يقرؤون في الباصات
جريدتهم الصباحية؟

إن اللون الوحيد الذي يميز وجوه العرب المبعثرين في زوايا
الكرة الأرضية هو اللون الرمادي.. أو الأصفر.. أو اللالون..
والحالة الوحيدة التي تجمعهم هي حالة الاكتئاب..
واللغة الوحيدة التي يتكلمون بها.. هي لغة الأندلس التي
لا يتكلمها أحد..

والوصف الوحيد اللائق بأوضاعهم المدنية والمعيشية
والنفسية.. هو أوصاف (الجيتان).. أو (الكلوشار).. أو
(الصعاليك) الذين يحملون أوطانهم في أحذيتهم.. حتى
اهترأت أوطانهم، واهترأت أحذيتهم معاً.

هذا (الجنس الثالث) من العرب، هو استمرار تاريخي
لجنس الغجر الذين اختاروا الحرية وطناً لهم، ولو اضطروا
إلى النوم على قارعة الرصيف، ومداخل المترو، والتقاط
أعقاب السجائر.

هذا (الجنس العربي الثالث) مرتبط ارتباطاً عضوياً

بترموتر السياسة العربية.. فكلما ترعرع القمع والظلم هناك.. ترعرعت جالية الحزن هنا.. وازداد عددها، وتكاثر أطفالها.

وكلما كُتمت أنفاس الحرية هناك.. ازداد عدد الغجر العرب الذين احترقوا مهنة الحرية.. هنا.

وكلما ولد (هولاكو جديد) هناك.. ولد عشرة أطفال للعرب الرحل المقيمين مؤقتاً في حديقة (هايد بارك) في لندن، أو في حدائق التويلري في باريس..

وكلما تخرج رجل في مدرسة المخبرات هناك.. تخرج طفل في مدرسة البنفسج هنا..

إن الدياسبورا.. أصبحت كسفينة نوح، فيها حيوانات عربية من كل جنس ونوع، ففيها الطالب، والأستاذ الجامعي، والطبيب، ورجل الاقتصاد، والمحامي، والمصرفي، والصحافي، والمفكر، والكاتب، والشاعر.. حتى لم يعد في السفينة مكان لقدم..

من المسؤول عن هذه الأدمغة العربية التي تضخ معارفها في أرض غير أرضها، وتحت سماء غير سماءها، وفي بحار غير

بحارها؟

من المسؤول عن هذه الشبيبة العربية التي تكبر تحت
السموات الرمادية، من دون طفولة.. ولا تاريخ.. ولا
ذكريات.. ولا لغة.. وتعرف عن جغرافية الجزيرة البريطانية
وإيرلندا، ومسجد لندن.. أكثر مما تعرف عن بلاد الهلال
الخصيب.. ومسجد سيدنا الحسين في القاهرة، ومسجد
الإمام الأعظم في بغداد، ومسجد بني أمية في دمشق،
ومسجد الرسول الكريم في المدينة المنورة..

من المسؤول عن هذه الأجيال اللا منتمية إلى وطن، أو
تراث، أو عقيدة.. والتي تحفظ شعر شكسبير عن ظهر قلب..
ولا تعرف إذا كان المتنبي حلاقاً.. أو ممثلاً سينمائياً.. أو بائعاً
في محلات لندن..

من المسؤول عن هذه الأجيال العربية الضائعة التي
تعتبر ساندويشة الهامبورغر وطنها القومي.. ومطاعم
البيتزا مرجعها الثقافي وغناء مايكل جاكسون ذروة الإبداع
والعبقرية؟..

المسؤول عن هذا كله، هو نحن.. لأننا نريد وطناً بغير

مواطنين.. ونريد حكماً بلا معارضين.. ونريد مساجد بلا
مصلين.. ونريد صحافة بلا صحافيين.. ونريد فكراً بلا
مفكرين..

نحن المسؤولون عن إلغاء فكرة الوطن.. والوطنية، في
نفوس الشعب، فالوطن ليس مفهوماً تجريدياً، ولا نشيداً
مدرسياً، ولا طابعاً بريدياً.. ولا برنامجاً إذاعياً، ولا مسلسلاً
تلفزيونياً.. ولا استعراضاً عسكرياً.. ولا طائرات (ميراج)
و(ميغ) و(إف 16).. مستوردة خصيصاً لترعب الناس.

الوطن هو علاقة عضوية وإنسانية وتاريخية بين حاكم
ومحكوم، علاقة متكافئة يحكمها العدل، والاحترام،
والمساواة، والطمأنينة الروحية والجسدية.

وحين يسقط العدل وتنعدم المساواة، وتنهيار الطمأنينة،
ويُصبح القمع سيد الأحكام، والسيف أساس الملك.. وتصبح
الديمقراطية برنامجاً تلفزيونياً يذاع كل ليلة بألوان (بال)
و(سيكام).. لا يشاهده أحد..

عندما يحدث هذا.. فإن الوطن عندئذ يحزم حقائبه
ويسافر مع أولاده على أول سفينة شحن مسافرة..

إن عرب (الدياسبورا) يتكاثرون كالفطر في كل مكان..
حتى أصبحوا جمهورية تنتخب كل خمس سنوات رئيساً
جديداً لها، اسمه الحزن..

وإذا كان يهود (الدياسبورا) قد وجدوا أمامهم (الوكالة
اليهودية) لتهتم بشؤون استقبالهم، وإقامتهم، وإطعامهم،
وإسكانهم، وتمويلهم، واستئجار السفن التي نقلتهم إلى
إسرائيل.. فإن عرب (الدياسبورا) ليس لهم في مهاجرهم إلا
الله ليتولى أمر تجميعهم، وإسعافهم، وإطعامهم، وإدخال
أولادهم إلى المدارس، وغسلهم، وتكفينهم، وتشيعهم..
لو كان لدينا (وكالة عربية) لغوث المعذبين في الأرض..
كالوكالة اليهودية لاطمأننا على مستقبل هذه الطيور
العربية الضائعة..

ولو كان لدينا (حائط مبكى) نذرف لديه دموعنا، لما تردّدتنا
لحظة في اللجوء إليه..

ولكننا لا نجد أمامنا سوى جامعة الدول العربية.. التي
دخلت منذ خمسين عاماً في مرحلة (الكوما).. ولم تخرج منها
حتى كتابة هذه السطور.

روائع الحرب الجديدة

حامى الحمى

إن حامية حمى إسرائيل (أعني الولايات المتحدة الأمريكية) لا تخجل من إعلان خوفها على إسرائيل الصغيرة، المسكينة، المستضعفة.. ورغم الصفعة القوية التي تلقاها جيمس بيكر من إسحق شامير، عندما رفض رفضاً قاطعاً مقترحاته حول الحوار الإسرائيلي - الفلسطيني في القاهرة، فإن وزير الدفاع الأمريكي ريتشارد تشيني، لم يتورع عن تقديم رشوة سخية جديدة لإسرائيل، فيعلن استعداد الولايات المتحدة لتزويد إسرائيل بجهاز إنذار مبكر يحميها من "الصواريخ العربية"!!

أية صواريخ عربية.. تلك التي يتحدث عنها البنتاغون؟ نحن الآن في مرحلة الحوار "الدبلوماسي".. و"الحل التكتيكي" و"المؤتمر الدولي"..

التي تفترض أن ندير لإسرائيل خدنا الأيسر.. إذ صفعتنا

على خدنا الأيمن..
إننا نبحث عن طاولة من الخشب.. أو الفورمايكا.. أو من
الكرتون.. لتتفاوض مع إسرائيل..
نسينا "لاءاتنا" الثلاث.. ونسينا كلمات أحمد الشقيري
المأثورة.. ونسينا الانتفاضة والمنتفضين.. وصار أقصى
آمالنا أن نردش مع إسرائيل.. التي لا تريد حتى الدردشة
معنا..

البيت الأبيض منذ سنين في حالة استنفار.. والولايات
المتحدة لم يعد لديها شغل سوى مصنع صغير للأدوية
أنشأته الجماهيرية الليبية في "الرابطة"..
إن الرئيس جورج بوش لا ينام الليل.. ولا يتناول طعام
الغداء أو العشاء.. قبل أن يعرف ماذا يدور في داخل هذا
المصنع..

إنه لا يفكر بالمخزون النووي والجرثومي والكيميائي الذي
تملكه الولايات المتحدة، وبريطانيا، والاتحاد السوفيتي،
وفرنسا، وإسرائيل.. والقادر على تفجير الكرة الأرضية
بثانية.

ولكن الرئيس بوش خائف على "ابنته" إسرائيل من قنبلة كيميائية محتملة يمكن أن ينتجها العقيد معمر القذافي..
ويدمرها تل أبيب..

وبعد احتراق مصنع "الرابطة" بفعل تخريبي واضح، شارك فيه وخطط له الغربيون على اختلاف أسمائهم وجنسياتهم.. أصبح بإمكان الرئيس بوش أن ينام مرتاحاً.. لأن العقيد معمر القذافي سوف يأخذ وقتاً قبل أن يرسل إلى إسحاق شامير زجاجة تحتوي على مسحوق لإبادة الحشرات.

هذه الوصاية علينا من قبل الدول الغربية، أصبحت وصاية علنية، فنحن ممنوعون من دخول عالم المعرفة، وممنوعون من تطوير أبحاثنا، وصناعاتنا وتقنيتنا، وممنوعون أن ندخل أي مشروع قومي، وممنوعون أن نتحد، أو نتكتل، أو نكون أقوياء..

لذلك تستمر حرب الطوائف في لبنان، ويبقى وقف إطلاق النار بين العراق وإيران مؤقتاً وهشاً.
ويستمر الاتحاد السوفييتي في تصدير اليهود إلى فلسطين

المحتلة بمباركة الولايات المتحدة..
وتستمر الآلة العسكرية الإسرائيلية في إبادة الشعب
الفلسطيني، وزرع شعب من العبرانيين مكانه.
ويستمر الحجر الفلسطيني معزولاً عن الذاكرة الرسمية
العربية.. ويستمر الغرب في حديثه عن حقوق الإنسان في
بريتوريا، وينسى حقوق الإنسان الفلسطيني في الضفة
الغربية وقطاع غزة.
ويمارس الغرب المقاطعة الاقتصادية على دول جنوب
أفريقيا العنصرية.. ويستعمل المندوب الأمريكي حق الفيتو
في مجلس الأمن لإسقاط أي قرار قد يتخذه المجلس ضد
التفرقة العنصرية في إسرائيل.
حتى "البريسترويكا" السوفييتية التي طبّلنا لها وزمّنا،
واعتبرناها رمزاً لتحرر الإنسان الاشتراكي من عبودية الأنظمة
التوتاليتارية، أصبحت في خدمة إسرائيل، وأصبحت تعني
حرية الإنسان الإسرائيلي في القمع والاعتصاب والتوسع، لا
حرية الشعب الفلسطيني في تقرير مصيره.
لقد حان لنا أن ندرك أن إستراتيجية الدول الغربية، وعلى

رأسها الولايات المتحدة الأمريكية نحونا، هي إستراتيجية
إضعاف، وتشتيت، وتجويع، وتجزئة.
إنهم يريدوننا متخلفين، وضعفاء، وجائعين، وسوقاً
لصادراتهم، وأحلافهم، ومؤامراتهم.
إنهم بكل تأكيد لا يريدون شعباً عربياً ذا وزن حضاري
وسياسي وعسكري واقتصادي.
وإنما يريدوننا شعباً من الدرجة العاشرة.

لبنان النموذج

لبنان بلد ممنوع عليه أن يستريح.. لأنه يمثل على خريطة الشرق الأوسط بلداً نموذجياً في فكره، وثقافته، وحرية، وتطلُّعه إلى المستقبل، وبسبب كل هذه الصفات الاستثنائية التي يملكها، فإنه يشكل تحدياً لإسرائيل ولأحلام إسرائيل. وكما تفضل الرئيس نبيه بري فإن إسرائيل لا تستطيع أن تقبل بوجود دولة تتمتع بالذكاء، والنشاط، والمبادرات الخلاقة، وتشكل مركزاً عالمياً للبنوك والفنادق والخدمات، لذلك فهي لا تريد من ينافسها على اختصاصها.

ولبنان بتاريخه الفينيقي العريق، وامتداداته التجارية الدولية، وعلاقاته الحميدة بكل دول العالم، يشكل منافساً خطيراً لمستقبل إسرائيل، وأحلامها في التحكم بالسوق الشرق أوسطية.

لذلك لعبت إسرائيل منذ السبعينيات دوراً بارزاً في

تخريب لبنان والإيقاع بين طوائفه، وفي عام 1982 قامت باحتلال أول مدينة عربية، هي بيروت، واحتلت جزءاً واسعاً من جنوب لبنان أسمته الشريط الحدودي، وأسست جيشاً من المرتزقة باسم جيش لبنان الجنوبي.. وليس صحيحاً ما تدّعيه إسرائيل بأن لا مطامع لها في لبنان، فلبنان هو الشوكة الموجهة بعينها.. وكلما حاول لبنان أن يرفع رأسه وينهض على قدميه، ضربته من جديد.. وخربت بنيته التحتية. فبعد أن عملت حكومة رفيق الحريري خلال خمس سنوات على إعادة البناء، وتعمير ما هدمته الحرب، والمحافظة على استقرار العملة اللبنانية، جاءت الطائرات الإسرائيلية -بدعوى ضرب حزب الله- لتضرب لبنان كله.. وإعادة لبنان إلى نقطة الصفر.. ومن سوء الحظ أن تتفق الولايات المتحدة وإسرائيل على هذا المخطط، فتعطي الولايات المتحدة الضوء الأخضر لإسرائيل.. لتدمر لبنان مرة أخرى.. وترغمه على توقيع صلح الجبناء من دون قيد ولا شرط أسوأ ببعض الدول العربية المهرولة والمنبطحه.

ومن سوء الحظ أيضاً أن الأمة العربية هي الآن في أسوأ مراحل انحطاطها، وتتصرف بأنانية ورجسية، دون أن تفكر بالصالح العام والهدف القومي ومصير الوطن، فلا الحوار عاد ممكناً، ولا المؤتمرات ولا الجلوس على طاولة واحدة عاد ممكناً، ولا احترام التاريخ عاد ممكناً، ولا الإحساس بعلاقة الدم عاد ممكناً..

وباختصار فإن النظام العالمي الجديد، بقيادة الولايات المتحدة الأمريكية يريد إلغاء الصوت العربي بالتحالف التام مع إسرائيل..

وليس مؤتمر (شرم الشيخ) لمكافحة الإرهاب سوى إشارة الانطلاق التي كلفت إسرائيل تنفيذها في لبنان.. وربما في دول عربية أخرى إذا لزم الأمر..

على أن لبنان، برغم كل هذه الكوارث التي تحل به، سيبقى الصوت العربي الراض للهوان، والمذلة.

لقد حاولوا قتل لبنان أكثر من مرة، ولكنه كان دائماً ينهض من تحت رماده..

لبنان هو اليوم الصرخة الوحيدة في وطن عربي مصاب

بالخرس..
من قلبي أقول: نصر الله لبنان.. وشكراً له باسم ملايين
العرب الذين يرفضون أن يموتوا بصورة مجانية..

العاصفة ستأكل الأخضر واليابس

بعد أن ثبت تضامن الولايات المتحدة مع إسرائيل وإيران ضد العرب، في حلف جديد، هل ستبقى الأنظمة العربية على عنعناتها وأنانيتها واتفاقها على ألا تتفق؟ إن الحيوان يدافع عن نفسه بصورة غريزية، والنبات يدافع عن حياته بصورة تلقائية، فهل يكون المسؤولون العرب أقل مستوى في حساسيتهم؟ نحن لا نطلب منهم أن يطووا خلافاتهم، أو يذفنوها تحت الأرض، فهذا مطلب عصيٌّ على نرجسيتهم، ولكننا نتوسل إليهم أن يؤجلوا خلافاتهم، أو يجمدوها، أو يخبئوها في جوارير مكاتهم، حتى يواجهوا أكبر هجمة غربية شنت عليهم في التاريخ.

نقترح عليهم أمام هذه الكراهية الساحقة التي تواجههم بها الدول الغربية بعد حادثة مطار هيثرو، وقطع العلاقات

البريطانية السورية، أن يحدّوا خلافاتهم، وأن يوقعوا فيما بينهم صلحاً مؤقتاً للدفاع عن النفس، بقصد مواجهة العاصفة.

إنني أعلم أن ما بين سوريا والعراق، وما بين مصر وليبيا، وما بين المغرب والجزائر، وما بين اليمن الجنوبي واليمن الشمالي، وما بين البحرين وقطر، وما بين منظمة التحرير الفلسطينية وسوريا.. من خلافات أيديولوجية وإقليمية وقبلية، لا يمكن تصفيتّها ما بين يوم وليلة.

ولكن العاصفة الغربية التي تهبّ عليهم ستأكل الأخضر واليابس، ولن تترك خيمة أو نخلة أو حاكماً عربياً في مكانه. وبعد.. فإن العلاج الوحيد لما نحن فيه هو إعلان هدنة عربية عامة، حتى ننصرف إلى رد الهجمات الخارجية علينا، أما شؤون البيت الداخلية فإن الزمن كفيل بإيجاد حلول لها.

لا شك أن الهجمة الإسرائيلية الجديدة تُشكّل أكبر تهديد للأمن العربي، بل وأخطره، فهي هجمة تهدف إلى التبعية التامة للوطن العربي للهيمنة الأميركية الإسرائيلية.

لقد جُرد العرب من كافة أسلحتهم الفعالة، وتم استبعاد القوة العسكرية المصرية من المعادلة العربية، وتم تحييد النفط ثم تحويله إلى سلاح يستخدم ضد أصحابه، وتم استخدام القوة المالية العربية كأسلوب ابتزاز لا يختلف عن أسلوب الخاطفين، إذ أصبحت الأرصدة العربية رهينة في المؤسسات المالية الغربية.

إن دمج الاقتصاد الأمريكي والاقتصاد الإسرائيلي بحيث يصعب التمييز بينهما بعد تحقيق الالتزام العسكري المشترك، يعني تدمير المقاطعة العربية، وتحويل ما يسمى بالصدقة الأمريكية العربية إلى اختراق إسرائيلي للاقتصاديات العربية وللمجتمع العربي، وتحقيق الهيمنة الإسرائيلية على أسس مستمرة جديدة ليست نابعة من التأييد الأمريكي بين حين وآخر.

إن الخطر الأمريكي الإسرائيلي، هو أكثر الأخطار شراسةً وتهديداً للكيان العربي، إلا أن هناك اعتبارات أخرى تزيد من تعقيد الوضع ومن حجم الخطر العام، منها ازدياد احتمال التقارب السوفييتي الأمريكي، وتأثير ذلك على مدى

ونوعية التدعيم السوفييتي للنضال العربي، كذلك هناك تصاعد بالموقف في أفغانستان، وتوسع النفوذ السوفييتي في منطقة مجاورة للحدود العربية، وبخاصة مع بداية التعاون بين الاتحاد السوفييتي وإيران، والتي بدأت في مجالات الاقتصاد والطاقة، وهناك بوادر التعاون في المجالات السياسية في ظروف التصعيد الأمريكي للأهمية النسبية لإيران في الحسابات الإستراتيجية، مما يفرض على الاتحاد السوفييتي تصعيد أساليب المواجهة للموقف الأمريكي في إيران.

ومن العوامل الجديدة التي تهدد أمن المنطقة العربية تهديداً مباشراً، إعادة صياغة التحالف التقليدي الإسرائيلي الإيراني، والعودة إلى فكرة شرطي المنطقة المدعم بالالتزام الأمريكي الإسرائيلي، ومحاولة الاختراق الإسرائيلي للاقتصاد العربي.

أما التشرذم والتمزق والتردي العربي فهي من العوامل التي مكنت المخطط الأمريكي الإسرائيلي من اختراق الجسد العربي.

التضامن

السؤال المحدد: كيف يواجه العرب مجتمعين الأخطار التي تهدد مستقبلهم ووجودهم؟
إن الإجابة المنطقية هي الوحدة.. وهي كلمة جميلة وفتاحة للشهية، ولكن يبدو أن لا أحد من الحكام العرب يريد أن يتعاطاها، فالوطن العربي مكسور ومهشم بحيث يحتاج إلى مليون زجاجة غراء للصق أجزائه.
الواقع على الخريطة العربية مذهل ببشاعته ومذهل بتعقيداته؛ فالجماهير ملغاة، والديمقراطية ملغاة، والحرية ملغاة، ووسائل التعبير ملغاة، والإنسان أيضا ملغى.
فمن أين يبدأ التضامن.. إذا كان المسؤول العربي قد بنى بينه وبين الناس جداراً من الشوك والشك والإسمنت المسلح؟

إنني لا أتحدث عن التضامن السياسي، فهذا نوع من أدب اللامعقول.. ولكنني أتحدث عما هو أبسط بكثير.. أتحدث مثلاً عن حرية التعبير، وعن حرية الثقافة.. عن حرية الكتاب.. عن حرية الصحافة.. عن حرية انتقال الإنسان والكتاب من قطر عربي إلى قطر عربي آخر.. إنني أقترح أن يكون التضامن ثقافياً أولاً، وأن نبدأ بتحرير فم الإنسان العربي من الأقفال الموضوعية عليه.. وتحرير الثقافة العربية من الحواجز المسلحة والأسلاك الشائكة.. وتحرير الكتاب والرأي والمطبوعة العربية من أجهزة المصادرة والقمع.

إن التوجه لا يكون إلى أولياء الأمور والقباضين على القرار في الدول العربية، ولكن البداية تكون بالتوجه إلى الجماهير العربية، ومنها تتشكل لجنة من (حكماء العرب) تفرض على السلطات الاستجابة لمطالبهم. ولا يقتصر دور لجنة حكماء العرب على الاتصال، وإنما تكون أداة للتغيير، وكما قال لينين "جهزوا لنا فئة من المدربين الثوريين أقلب لكم روسيا رأساً على عقب".

كذلك فإن إمكانية التوفيق بين أمن الحكام وأمن المحكومين عن طريق اقتسام الفائض البترولي في الدول البترولية، هو أمر مستبعد بل غير مقبول من ناحية المبدأ. فحلُّ التناقضِ عن طريق رشوة الجماهير - كما حدث في السبعينيات- أدى إلى إهدار الموارد القومية، وظهور أخلاقيات عصر النفط بكل تشوهاتها.

كما أن نتائجها الاقتصادية في الأجل الطويل، هي نتائج غير مقبولة، لأنه استخدام في مشروعات غير إنتاجية. وأكبر دليل على فشل أسلوب اقتسام الفوائض هو التدهور الاقتصادي الحاد الذي تواجهه الدول النفطية الخليجية، وبه ازدادت تبعيتها للغرب، حتى أصبح الدائن الغني والمدين الفقير في سفينة واحدة اسمها التبعية الأمريكية.

وفي الواقع لا يوجد فوائض نفطية في الوقت الحالي حتى يمكن اقتسامها كأسلوب لحل التناقض بين أمن الحاكمين وأمن المحكومين.

إن مواجهة التناقض سواء في الدول النفطية أو غير النفطية، يكون عن طريق الديمقراطية، فهي تمثل الأمل

للجماهير، والأمن العربي.
في هذه الظروف الاقتصادية والسياسية، فإن أمن دول
الخليج مرتبط بتحالف أولياء الأمور مع شعوبهم في حزام
عربي، وليس في حزام أمريكي.

كل عام ونحن غاضبون!!

كل عام والشارع العربي يبرق.. ويرعد.. ويمطر غضباً جميلاً..
كل عام والشارع العربي قلق.. ومنفعل.. ومتوتر الأعصاب..
كل عام والشارع العربي مستنفر.. ومعبأ.. ومتربص كنمر
في غابة..

كل عام والشارع العربي يحبل ببذور التغيير، ويأتيه
المخاض في شهر ديسمبر من كل عام..
هذه أمانى العام الجديد.

كل الأمانى الأخرى من مال وثياب.. وصحة وطمأنينة
وراحة بال، أصبحت عندي هامشية.

فراحة البال والطمأنينة والسكون هي من صفات الحجر
لا من صفات البشر، والشعوب التي تقضي أيامها في
دور النقاهاة وماوى العجزة.. هي شعوب دخلت في مرحلة
الترهل، والشيخوخة السياسية..

وقد تكون أمنيّتي لهذا العام غريبة وغير كلاسيكية وغير
مذكورة في كتب الأمانى والأحلام، غير أنني أعترف لكم أن
الذي صاغ أمنيّتي للعام الجديد هو هذا الزلزال الديسمبري
الذي انطلق من غزة ومدن الضفة الغربية ليُجعل خاتمة
عام 1987 كخاتمة السمفونية الثالثة لبيتهوفن، والمسماة
السمفونية البطولية.

لماذا لا نسميها (السمفونية الغزاوية) تلك السمفونية
الرائعة التي انطلقت من شوارع غزة لتوقظ ضمير العالم
بضربات طبولها.. وهدير آلاتها النحاسية.. ومهارة عازفيها؟..
الميلاد الحقيقي، ميلادنا الحقيقي، كان في غزة.. وفي التراب
الغزاوي تشكلت النطفة الأولى للثورة العربية الشاملة.. لا
لثورة الفلسطينية فحسب.

فالشرارة التي اشتعلت هناك، كهربت الجسد العربي
كله من الخليج إلى المحيط، فسرى الدم في شرايين الوطن
العربي المسدودة، وانتشرت الحرارة في كل أطراف الجسد
الذي ظل أربعين عاماً محفوظاً في ثلاجة الموتى.
هل رأيت شجرة الميلاد التي صنعها تلاميذ المدارس في

غزة في 25 ديسمبر الماضي.. وأضأوا قناديلها ببرق عيونهم..
وأنهاردمائهم?..

إنها أكبر شجرة ميلاد عرفتتها شوارع أوروبا وأميركا..
أكبر من شجرة ريجنت ستريت وترافلغازسكوير في لندن..
أكبر من شجرة ساحة الكونكورد وساحة المادلين في باريس..
أكبر من شجرة الجادة الخامسة في نيويورك..
أكبر من شجرة ساحة القديس بطرس في روما..
عندما تصبح أشجار الميلاد مصنوعة من عيون الأطفال،
وأصابعهم، وكراساتهم المدرسية المتناثرة.. فإن غابات
العالم تشعر بالخجل.. وتدخل في نوبة بكاء هستيرية.
طاف سيدنا المسيح على كل عواصم العالم، وشاهد
كل الأشجار التي أقيمت احتفالاً بمولده.. ولكنه ترك كل
الأشجار المضاءة بالأخضر والأزرق، والبنفسجي.. وجلس
تحت شجرة غزة.. لأن قناديلها كانت حمراء.. وأجراسها
كانت تعزف النشيد القومي الفلسطيني..
لم تنزل طائرة سيدنا المسيح في مطار بن غوريون لأنه لا
يعرف اللغة العبرية.

عندما حاول يسوع دخول فلسطين لزيارة قبر أمه..
أعادوه على أول طائفة.. بتهمة الانتماء إلى منظمة التحرير
الفلسطينية..

في 25 ديسمبر قبل 1987 سنة ولد صبي في بيت لحم غير
هندسة العالم.

وفي 25 ديسمبر بعد 1987 سنة ولد صبيان وبنات المدن
الفلسطينية المقهورة الذين استطاعوا أن يحولوا الحجر
الصغير إلى مفاعل نووي.

في 25 ديسمبر من عام 1987 خرج من الأصداف المتناثرة
على سواحل فلسطين.. جيل عربي قتل آباءه.. ورمى كل
الحبوب المهدئة.. وكل المؤتمرات المهدئة.. وكل المقررات
والتوصيات المهدئة.. ورمى جميع الذين يمشون القات
السياسي.. ويشمون الكوكابين الأيديولوجي والديماغوجي..
إلى أسماك البحر..

في 25 ديسمبر 1987 خرج من قمقم قديم تغطيه
الأعشاب البحرية على الشاطئ الغزوي.. عفريت أزرق..
حطم جميع النراجيل.. وقتل جميع المساطيل..

في 25 ديسمبر تسلّم السلطة جيل عربي لا يؤمن بأنصاف
الحلول.. ولا يتعاطى حشيشة الصبر.. ولا يؤمن بالمفاوضات
مع ذئب يحمل حقيبة سامسونايت.

في 25 ديسمبر 1987.. سحب الأطفال الغزايون السجادة
من تحتنا.. وطلبوا إلينا تقديم استقالتنا الجماعية.
في 25 ديسمبر 1987 فتحت صفحة جديدة من التاريخ
العربي، أما الأوراق القديمة التي تحمل أسماءنا.. وألقابنا..
وصورنا.. فقد أكلتها النيران..

النجمة الوحيدة هي نجمة ديسمبر التي فتحت الأبواب
أمام إشراقة القمر الفلسطيني، بعد أن اعتراه الكسوف،
بعد خروج الفلسطينيين من بيروت إلى الشتات،
وانقسامهم إلى شيع، وأحزاب، وفصائل، متأثرين بالمدرسة
السياسية العربية الكلاسيكية في الأنانية والنرجسية،
وشهوة الحكم الفردي.

في 25 ديسمبر 1987 تسلّم الحكم من يستحقون أن
يحكموا.. ودخلنا نحن إلى متحف التاريخ الطبيعي.. ليتفرج
الناس علينا كجنس من الأجناس السياسية المنقرضة.

المحتويات

7	الفلسطيني يبحث عن قاتل أبيه.....
12	تأملات في الزمن العربي العجيب.....
16	جنيف.....
19	لماذا يُفجَّرون وَطَني؟.....
24	كتابات جنوية (1).....
26	كتابات جنوية (2).....
28	كتابات جنوية (3).....
30	كتابات جنوية (4).....
32	كتابات جنوية (5).....
34	كتابات جنوية (6).....
37	إسرائيل على شواطئ قرطاج (1).....
40	إسرائيل على شواطئ قرطاج.. (2).....
43	إسرائيل على شواطئ قرطاج (3).....
46	إسرائيل على شواطئ قرطاج.. (4).....
50	رصاصات في رأس كامب ديفيد.....
56	عباس بن فرناس الفلسطيني.....

- 64 الحجر هو الملك
- 67 طائرة الوحدة الوطنية
- 69 الدخول في زمن التحدي
- 76 نافذة على الأفق الأخضر
- 80 قتلة بالوراثة
- 86 هيروشيما تعتذر للكويت
- 90 سارق العصافير
- 93 الولادة الثانية
- 97 عودة الروح
- 102 مبروك على الكويت ولادتها الجديدة
- 106 سفير .. بعباءة إسرائيلية
- 111 خسرنك أيتها السيدة الاستثنائية
- 113 بمناسبة ذكرى الوحدة العربية
- 122 جمهورية الـ "دياسبورا" العربية
- 129 روائح الحرب الجديدة
- 134 لبنان النموذج
- 138 العاصفة ستأكل الأخضر واليابس
- 142 التضامن
- 146 كل عام ونحن غاضبون!!

ولأنهم يكرهون الشموع.. ويكرهون الشمس
والقمر.. ويكرهون كل مصادر الضوء.. وكل
مصادر الفكر.. ولأن الجاهلية لا تزال
مخبوءة في أعماقهم.. فقد صدر مرسوم
بإطفاء الشموع الكويتية..
لأننا نتكلم أكثر من اللازم.. ونفكر أكثر من
اللازم.. ونشرب من نهر الحرية أكثر من
اللازم!!
وهكذا يصبح الليل سيد المنطقة.. وتصبح
الخفافيش سلاطين الظلام بغير منازع،
ويصبح الليل الأسود هولون أيامنا..
فإلى الذين اختاروا الكويت ليعلموا
"الحرب" فوق أرضها أقول:
لقد أخطأتم في قراءة الخريطة السياسية،
كما أخطأتم في قراءة الخريطة الحربية
والإستراتيجية.. وأخشى أن تكونوا قد
أخطأتم في قراءة الخريطة الدينية أيضاً.
الكويت هي دار الإسلام كما تعلمون..
أو كما لا تعلمون..

